وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

الرقم التسلسلي: ..../.....

رقم التسجيل ط1: **2323125076305**

رقم التسجيل ط2:

ألفاظ الطبيعة في ديوان محمد العيد آل خليفة

(دراسة دلالية بلاغية)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص لسانيات عامة

إعداد الطالبتين:

- خضراء امساعد
- منال بن عبد الرحمان

إشراف الدكتور:

- سليم جلول حمريط

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة
أ.د سليمان بوراس	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
د. سليم جلول حمريط	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا
د. خليف مهديد	أستاذ محاضر أ	مناقشا

السنة الجامعية: **2025/2024م**

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه

السيد(ة): امساعد خضراء ..... الصفة: طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 204919512 .....

الصادرة بتاريخ: 2019/08/13 عن بلدية: بوسعادة ولاية: المسيلة

المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي. لسانيات عامة

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:

- ألفاظ الطبيعة في ديوان محمد العيد آل خليفة - دراسة بلاغية دلالية -

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في: 2025/06/11

إمضاء المعني

Messaad

صح رئيس المجلس الشعبي البلدي
و بتفويض منه الموظف المكلف
بشيري صابر

نظير وصادق على توقيع
السيد(ة) ..... 11 جوان 2025
المسيلة في .....

ولاية المسيلة ... 504

أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016، الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

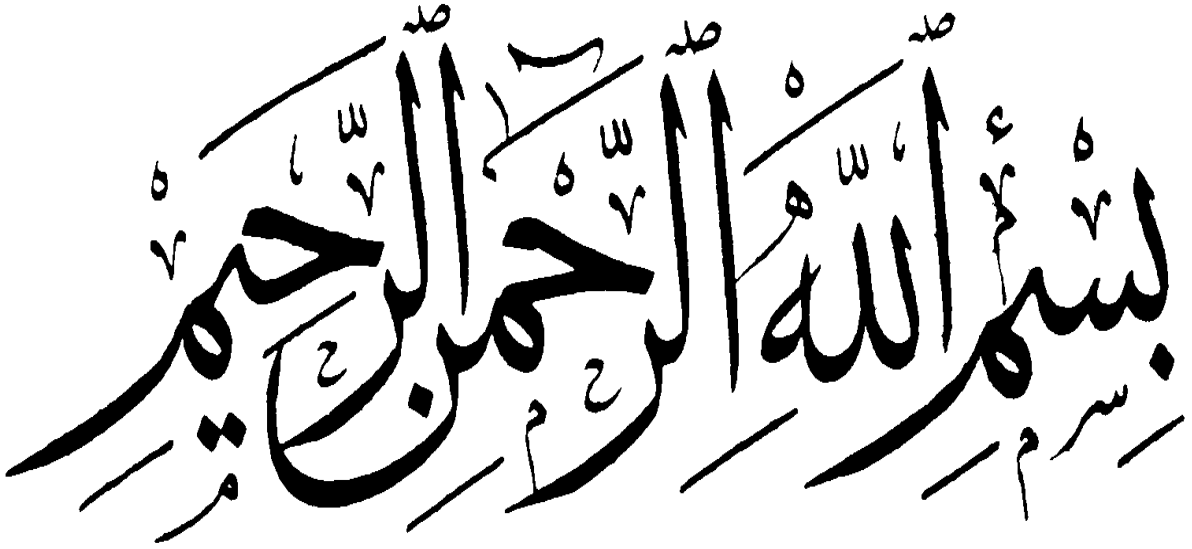
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وعرفان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

في البداية الشكر والحمد لله في علاه، فإليه ينسب الفضل كله والكمال يبقى وحده في اكمال هذا العمل.

وبعد الحمد لله، نتوجه الى أستاذنا الدكتور "سليم جلول حمريط" المشرف على رسالة التخرج بالشكر والتقدير التي لن تفيه أي كلمات في حقه، فلولا مثابرته ودعمه المستمر ما تم هذا العمل، وبعدها فالشكر الموصول لكل أساتذتنا الذين تتلمذنا على ايديهم في كل مراحل دراستنا

الإهداء

إن كان الإهداء يعبر ولو بالشيء اليسير من الوفاء و الإخلاص، فالإهداء إلى التي على بساط الأوجاع ولدتني، وبأيدي الآلام ربتني، وبعيون التعب رعتني، وبصدر الحنين حفتني، وفي الخلوات تضرعت لله ودعت لي، أمي أمي أمي...

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار، وعلمني العطاء دون انتظار، إلى الذي أحمل اسمه بكل افتخار، أبي الغالي.

إلى الذي تربطني به أسمى علاقة في الوجود

إلى إخوتي الأعزاء، إلى كل الأهل والأقارب.

إلى كل من علمني علما به ينتفع، وأدبا به يرتفع.

إلى الزملاء الأعزاء، وإلى الأصدقاء الأوفياء.

إلى كل من سقط اسمه سهوا مني.

إلى من يعرفني وكل من لا يعرفني.

منال بن عبد الرحمان

الإهداء

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، إلى من زرع بي حب العلم، إلى من فقدته باكرا، إلى سندي الذي شاء القدر وأخذه قبل أن يراني في هذا اليوم، لروحك الطاهرة أبي الغالي أهدي هذا العمل رحمك الله وأسكنك فسيح جناته.

إلى من تحمّلت عناء الزمان ورافقتني في كل لحظات عمري في فرحي وحزني، أمي منبع الرقة والحنان التي لم تبخل عني بشيء وكان دعاؤها بلسم جراحي، إلى من قصرت كلماتي في إيفائها حقها، إلى أغلى الحبايب أمي الغالية أطال الله في عمرها، إليك أهدي كل أعمالي.

إلى من قيل فيهم سنشد عضدك بأخيك، إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي، إلى إخوتي.

إلى كل من كان لهم أثر في حياتي وإلى كل من أحبهم قلبي ونسيهم قلمي.

أمساعد خضراء

مقدمة

مقــدمة:

مثّلت الطبيعةُ بمجمل مظاهرها وأسرارها، ومباهجها وألوانها ومناظرها الخلابة مجالاً للوصف، فقد أتاحت للإنسان بوجه عام وللشعراء بوجه خاص فرصة وصفها والتغنّي بمياهها وبكل ما تحتويه من بساتين ورياض وواحات خصبة وزروع وكروم وطيور وأنعام بكلّ مشاهد من رياح وأمطار وندى وغمام وبرق وسحاب فوصفت في أغراض متباينة من الشعر، تراوحت بين الفخر والمديح وبين الغزل والرثاء، كلها تراكم وزخم بالمشاهدة والمعاينة يجلي الطبيعة ممّا يستثير ملكة الفكر في استعمال الطاقات اللفظية الشعرية كما هو في الواقع بأسلوب موجز وخيال متدفق بسيط، هو أقرب إلى الفطرة التي تتأمل وتتفنن فيما يذكي قريحتها ويطرب شعورها من مظاهر الطبيعة الصامتة والحية على السواء في زوايا الكون، كل ذلك في صياغة عرض لصور البيئة الطبيعية في إبداع لغوي يحاكي الإبداع الخالق الطبيعي في أصدق تمثيل أغزر تعالق وتمازج وفق حركة دائمة، وقد كان الاهتمام الشعراء بالطبيعة ودلالتها حاضرا في مدوناتهم الشعرية، ومن بين هؤلاء نجد الشاعر "محمد العيد آل خليفة "في ديوانه الذي اهتم فيه بالطبيعة الحية والجامدة متخذا من دلالتها المتنوعة رموزا للتعبير عن أفكاره وقضاياه، ومن هنا نتناول البحث العلمي في وجه من وجوهه بما أملت علينا الدراسة العلمية لتتبلور فكرة البحث في العنوان التالي: ألفاظ الطبيعة في ديوان محمد العيد آل خليفة دراسة بلاغية دلالية .

وعلى هذا الأساس وانطلاقاً من ذلك كلّه، ولثبت تأصيل الدراسة بحثا في الموضوع، ووقوفا على تجلياتها، والخوض في غمار دراسته من حيث تتبع عمق جذور القيمة العلمية للموضوع، وملامسة مجمل أهداف الدراسة، مما يستعمل ربط ألفاظ الطبيعة بأصولها وجذورها الأولى، بغية إلقاء الضوء بشكل أكثر تبسيط لبعض المفاهيم الواردة في الجهود الشعرية كتيار تراثي متناغم مع الأدلة اللغوية في ركبها، وذلك ما دفعنا لهذ السبب، باعتبار أن الدراسات السابقة والمنجزة لحدّ الساعة اختصت واقتصرت في تبيان ألفاظ الطبيعة بصورة مطلقة، ممّا يشير الى ذلك الجزء البسيط من مساحة الدلالة نحو:

دراسة أكاديمية موسومة ب: ألفاظ البيئة الطبيعية في شعر إيليا أبي ماضي، دراسة تقدم بها فايز رسمي الشوامرة، تتبع فيها الباحث دلالة الكلمة عند الشاعر إيليا ابو ماضي حقيقة ومجازاً.

-دراسة أخرى بعنوان : ألفاظ البيئة الطبيعية في شعر ابن حمديس من إعداد رأفت محمد سعد استيتي، وهو ما يعكس شعر الطبيعة في الأندلس وشدة تعلق أهلها بمظاهر الجمال.
وقد تميزت هذه الدراسات بعرض شامل وسطحي بالشرح والوصف لمعظم ألفاظ الطبيعة في ديوان معيّن بالتعميم والوصف الدلالي السطحي ولم تفِ الموضوع حقه وتضمنت ما أمكن جمعه، ولمعالجة وحصر مثل هذه القضايا، ولِلَم شمل هذا الموضوع انطلقت الدراسة واضعة نصب عينيها ديوان محمد العيد آل خليفة كمدونة جزائرية قيد الدراسة و التحليل وهي الدراسة المرتكزة على بعض الكتب القيمة والمراجع الهامة، مما يحمل ثقافة دلالية كخلفية تراثية ومن بين هذه المراجع :

1- العلاقات الدلالية في شعر الطبيعة النظرية والتطبيق للدكتور : سليم جلول حمريط.
2- العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي للدكتور : عبد الواحد حسن الشيخ .
3- علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي للدكتور: عبد الجليل منقور.
4- علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق للدكتور : فايز الداية .
5- علم الدلالة للدكتور : أحمد مختار عمر.
6- شعر الطبيعة في الأدب العربي بقلم الدكتور : سيد نوفل.

انطلاقا من اشكالية ترتبط بطائفة من ألوان القضايا الدلالية ومنها :
كيف تستخدم ألفاظ الطبيعة في ديوان محمد العيد آل خليفة كأداة بلاغية ودلالية لتعزيز المعنى والتصوير الشعري؟

وتشعبت عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات المتصلة بالمعنى والنشاط الفكري أهمها:

1-كيف أثرت البيئة الطبيعية في شعر محمد العيد آل خليفة في رسم الصورة الشعرية؟ وماهي التقنيات الأدبية التي استخدمها لرسم الطبيعة الصامتة والمتحركة في شعره؟

2- ما الأغراض الشعرية التي استخدم فيها محمد العيد آل خليفة ألفاظ الطبيعة بشكل بارز ؟ وكيف ساهمت هذه الألفاظ في تعزيز التعبير الشعري؟

3- ما تأثير تنوع ألفاظ البيئة الطبيعية في ديوان محمد العيد آل خليفة على جمالية الوصف الشعري ؟ وكيف ساهم هذا التنوع في إثارة خيال القارئ؟

ولدراسة الإشكالية السابقة فقد قسم هيكل الدراسة إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة البحث كنتاج وفائدة مجملة للنهاية ما توصلنا إليه في هذا البحث.

عبرنا في مقدمة الدراسة عن كيفية تناول البحث المراد دراسته، وطرق معالجته والخوض في ثنايا ممارسة انجازه بهذا الشكل ، وما صدر منا من تهافت على المراج في إخراجه إيغالاً وتوضيحاً، وفي المدخل ذكرنا تعريفاً لبعض المصطلحات والمفاهيم الأولية حول الموضوع المدروس .

أما الفصل الأول فقد قسمناه إلى مبحثين وكل مبحث يضم ثلاثة مطالب حيث استعرضنا في هذا الفصل نشأة أدب الطبيعة واستخدام الشعراء لألفاظه في الشعر والنثر وكذا مراحل شعر الطبيعة، ثم تلاه الفصل الثاني الذي ضم الجانب التطبيقي من دراستنا والذي احتوى على مبحث واحد قسمناه إلى مطلبين عرضنا فيهما الطبيعة من منظور العلاقات الدلالية وكذا جوانب الطبيعتين الصامتة والحيّة التين ظهرتا في ديوان محمد العيد آل خليفة، وأتممنا بخاتمة وضعنا فيها أبرز ما أسفرت عنه الدراسة من نتائج، ثم ثَبْتٌ للمصادر والمراجع، وأخيراً ملخص البحث وترجمته .

وصعوبة البحث في ألفاظ الطبيعة أمر طبيعي وارد باعتبار أن الموضوع شائك ومتداخل، ومع أنه ليس بالشيء المتفرد والمتميز، غير أن بعض الصعوبات والعراقيل التي واجهتنا أثناء هذه الدراسة ومنها :

1- نظراً لأن قصائد محمد العيد آل خليفة والمتوفرة والمقيدة بديوانه موضوعة بشكل عفوي نظراً لأخذها موزعة ومتناثرة من جريدة البصائر، فهي غير مرتبة زمنياً ولا محصورة في مجال أكاديمي معين، لأنها تصوير في مجالات متعددة للتوازنات الأدبية شدّاً أو جذباً و ارتباطاً.

2-المنهج الذي يتخذه محمد العيد آل خليفة منهج قديم يتبه فيه طريقة القدماء في اللغة والأسلوب، مما يصعب عملية الاستقراء، مع ملاحظة ما فيه من كثير خصوصية فنية ممتعة.

3-الكم الهائل من القصائد التي تفوق المائتين والخمسين قصيدة والذي يجعل التحكم يفيها صعب المنال، وهو الأمر الذي يتطلب الجهد لإدراك الغاية التي يهدف اليها البحث المميز.

4- انعدام المراجع التطبيقية، وطول البحث وتشعُّبه، وعدم حصره كونه بحثاً مفتوهاً على احتمالات دلالية عديدة، ويتقبل المعطيات اللغوية والبلاغية وهو ما يلفت النظر في تثبت فعاليته.

كما اعتمدنا في بحثنا على المنهج الوصفي.

وآخراً وليس أخيراً نسأل الله السداد والتوفيق لكل ما فيه خيرٌ، فإن أصبنا من الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان والله المستعان.

مدخل

مفاهيم أولية ومصطلحات حول الدلالة والطبيعة

أ- تعريف الدلالة:

1- **لغة:** الدلالة بفتح الدال وكسرها من الفعل: دَلَلَ، يدل ، إذا هدى ، ومنه دليل ، ودليليٌ، والدّليليٌ: العالم بالدلالة، ويقال: دلّه على الطريق يدل دلالة، سدّده إليه وأرشده، فالمعنى اللّغوي للدلالة يوحي عند القدامى بالإرشاد والهداية والتّسديد أو التوجيه نحو الشيء[1] والطريق المؤدي إليه.

وعلم الدلالة حسب إجماع العلماء والدارسين: هو ذلك العلم الذي يركز ويهتم بدراسة المعنى كونه جزء من اللسانيات، وإن شئت هو أحد فروع علم اللغة تنهض به نظريات علم المعنى، وهو موجه صوب النشاط اللفظي أو الحدث الكلامي وهو ما أشار إليه القرآن في شرح هذا اللفظ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾[2] ومعنى ذلك هو أن الشيطان قد أرشد آدم وحواء للأكل من ثمار تلك الشجرة التي حذرهما الله من أكلها، وهو ما فيه من النصح الكاذب والإرشاد الضال والدليل الموهمُ، وكلها وجوه في المعنى والقيمة الدلالية تكمن في معنى اللفظ، وماهية الكلمة ثم تلك العلاقة التي تجمع بين شكل اللفظ ومعناه حسب وروده في سياق معين وفق العلاقات بين الألفاظ جميعا، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ [3]

بوجود الشمس عرفنا الظل ، وبذلك علاقة تحصيل حاصل كالدخان الدال على وجود النار ، وهو ما يحيلنا إلى أن الكلمة غير متواجدة على نحو عشوائي، ومنه الدور المهم في صياغة تقرير معنى المفردة، فلولا وجود الشمس ما تواجد الظل تحت السقف أو الشجرة وتلك مرآة اللغة وصفحتها.

---

[1] -هادي نهر:هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن ،ط1 ،2007، ص:23.

[2] -سورة الأعراف: الآية:21.

[3] - سورة الفرقان:الآية : 45.

2- **اصطلاحا** : هو علم خاص بدراسة المعنى في المقام الأول ، وما يحيط بهذه الدراسة أو يتداخل معها من قضايا وفروع كثيرة صارت اليوم من صلب علم الدلالة كدراسة الرموز اللغوية (مفردات، عبارات، تراكيب) وغير اللغوية كالعلامات والإشارات[1] وغيرها من الوحدات والأقسام الكلامية، وبذلك يحوز كشبه الإجماع على أن علم الدلالة: إنما هو علم يبحث ويهتم بالدراسة العلية والموضوعية بحثا في المعنى باعتباره جزءاً من اللسانيات على اعتبار أن المعنى هو جزء كذلك من اللغة أيضاً حتى صار من أهم خواصه دراسة معاني الكلمات، وكل ما يُنصب من تساؤلات على دراسة الدلالة ومنه توسيع المعنى وكذلك تعميم الخاص أو تضييق المعنى أو الموازنة من خلال الاستعمال .

ب -الطبيعة اللغة و الاصطلاح:

يتعين قبل الولوج في لب موضوع ألفاظ الطبيعة أن نتعرض لطبيعة من حيث اللغة و الاصطلاح بما يتوافر منه مُجمل عناصرها وتياراتها وظواهرها البارزة، وما اختلط فيها من تجارب .

1- لغة: الطبيعة اسم مشتق من الفعل "طبع" وهو ثلاثي الوزن وكل طبيعة ما جُبل عليه المخلوق وقد جاء في تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري الطبيعة هي : الخليقة أو السجية التي جُبل عليها الإنسان[2] وهي التي ترتكز على التجسيد الفكري وانعكاساته ولذلك فُطر الإنسان بوجه عام على حُب الطبيعة كما افتتن الشعراء والأدباء بحبهم لطبيعة وتفاعلهم معها وانعكس كل ذلك على أشعارهم وكتاباتهم واستعاروا منها ومن تعاقب فصولها ،وأسقطوها على جُل موضوعاتهم إذ أنّ الطبيعة جزءٌ من الحياة اليومية للأديب يقوم على ذكر جمالها، ويبتكر في دقة معانيها بالأخذِ من ظواهرها المتنوعة ويستحسن ما في السماء من نجوم وكواكب ويتلاءم مع الأنهار والوديان ويميل إلى نباتها

[1] -هادي نهر : علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي ،المرجع السابق، ص:27

[2] -إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان،ط4، 1987، مادة طبع.

وأعشابها ويسمو به التفكير في تعاقب ليلها ونهارها ويستمد من كثرة ما يحيط به وكلها من صنع الباري لمصلحة هذا المخلوق.

2- اصطلاحا: تعد الطبيعة في قوانين الكون ونواميس حوادث الدهر جميعها هي الجِبلة والفطرة وما طُبعت عليه، وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى ذلك بقوله: وهو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون ، فينظر إلى الأجسام السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان وإنسان ونبات ومعدن، وما يتكون في الأرض من الزلازل وفي الجو من السحاب والبخار، والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك، وفي مبدأ الحركة للأجسام وهو على تنوعها في الإنسان والحيوان والنبات[1].

ج-معنى اللفظ في العلاقات الدلالية: يتحدد مفهوم اللغة بناء على ضرورة الاجتماع الإنساني والحاجة إلى التواصل في تداوُلية خطابية تندرج ضمن مفهومية الصواب تعني التعبير عن محتوى معرفي يتميز به الإنسان فقد عرّف ابن جنّي اللغة العربية بأنّها :"أصوات يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم "[2] واللّغة من هذا الباب حالة اقتحام بين الموروث أو الرصيد المُكتسب ، وما يمكن نسحن توظيفه، فهو يُحدد قيمة الألفاظ كونها أداة صوتية تصل بنا الى الغاية الأصلية لما نريده من أفكار وأغراض، أو انبثاق لما ماثل ذلك من نصوص ونسيج نصي سابق بملامح موضوعية بالدرجة الكافية في حق اللفظ المدروس.

"ولفظة أصوات هنا لا تختلف في دلالتها عمّا قصده التحويليون فهي لا تعني (الأصوات) في مقابل (الكلمة) وإنّما تعني العلاقات وسلسلة الألفاظ المنطوقة أما الأغراض فتعني دلالة ذلك المنطوق، وليست اللغة إلاّ العلاقة بين الأصوات والأغراض أو بين اللفظ والمعنى، أو بين المنطوق والمفهوم أو بين المستوى السطحي والمستوى العميق ، وكل تركيب له غرضٌ"[3]

---

[1] – عبد الرحمان بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، د.ت،ص:544.

[2] – ابن جنّي : الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار ، دار الهدى، بيروت، ج1،(ن.ت)،ص:33.

[3] –محمد أحمد خضير :التركيب والدلالة والسياق ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية، ط 1 ،2005، ص:33.

فقط هناك ما يمكن أن ندرجه من إيداع وموهبة وبراعة في النشاط اللّغوي تستمد منه الألفاظ ألوانا معنوية وافية.

د-اللفظ والمعنى في الطبيعة: قصد الربط بين مستوى العلاقات الدلالية في ألفاظ البيئة الطبيعية نجد أن البنية العميقة للفظ تتحول إلى معنى سطحي مجازي فيُخالف التصور الحرفي للفظ أصلا وما وُضع له أو ما يمكن أن يكون له، وبمعنى آخر فإن مدلول لفظ طبيعي يمكن أن يكون له دوراً آخر بإسقاطه على مترادفات أخرى أو في سياق تركيب آخر، مثل قولنا في المثال الآتي: ذُبحت الشاة بقوة و ذُبحت الشاة بالحقل، "فدلالتا القوة والحقل المعجميتان تسهمان في تصور الوظيفة وسلامة التركيب"[1] وألفاظ الطبيعة في الأدب الحديث ولربما على يد شعراء المهجر مالت عواطفهم وأحاسيسهم الشعرية تأملاً بالطبيعة و استعاروا منها في أشعارهم "فقد تجلت ألفاظهم بالطابع العاطفي والإنساني والتأملي الذي امتزج بالطبيعة وألبسها ثوباً جميلاً من الأخيلة والإشعارات ... ولم يجد غير الطبيعة لتكون منطلقاً لتفاؤله ورومنسيته في الحياة"[2] وموازاةً مع ذلك فإن التركيب الدلالي يظهر في مفارقة اللفظ لخرق تلك العلاقة وقد ميّزه واستعان بما يُعدّ انحرافاً لفظياً لبيان صورة مطابقة اللفظ والمعنى ، وقد يُحدث تغييراً فيُعطي الصورة المطابقة تعبيراً لمقتضى الحال في انتقال اللفظ من دوره الأساسي إلى وظيفة ثانوية أخرى، وبمعنى أدقّ تنتقل ظلال المعنى من تركيب لآخر.

---

[1] -عبد السلام عيساوي : قضايا المعنى في البنية النحوية ، الدار التونسية للكتاب ، تونس، ط2، 2016 ، ص:195.

[2] -شوقي ضيف : دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة ، مصر، ط1 ، 1993 ، ص: 12 بتصرف.

الفصل الأول

مراحل شعر الطبيعة والعلاقات الدلالية في البيئة الطبيعية

المبحث الأول: الطبيعية في الشعر والنثر ومراحل شعر الطبيعة

المطلب الأول: الطبيعة في الشعر والنثر

تراوح أدب الطبيعة بين وحدة الموضوع في جملة من الأبيات أحياناً وبين القضايا المتعددة المواضيع أحياناً أخرى في مواطن أخرى، وعرف الأديب إرسال صور الطبيعة بموفور من المعاني شعراً ونثراً، وهو ما يدفع الشاعر أو الأديب لنقل ما عنده بشكل موضوعي ومنطقي صوب ذهن المتلقي " وأهم نتائج الفترة السابقة من تاريخ أدب الطبيعة شعره ونثره، وهذه النتائج تكشف لنا أنّ الشّعر (ديوان العرب) على مر العصور لأن فيه تتمثل الحياة الطبيعية بكل عاداتها وما تحتويه من مكوناتها وأعرافها وحمقها وطيشها وحكمتها ومثُلها العليا، بل ويصور لنا إحساس العربي وهو يجادل مشاكل حياته اليومية، وكذلك يُصور حياته الخاصة من حبّ وخصام ونزاع ووئام[11]" وصفاء تامّاً.

وإنّه لمن اليسير علينا أن نُدرك الألفاظ الطبيعية الدالة على جريان النّهر وتأمّل البحر ومعايشة الإنسان في السهول والجبال، وما يكثر فيها من نبات بشتّى أنواعه، وما إلى ذلك من الأنعام والطيوروغيرها وكل ماله صلة بحياة البادية والتغنّي بمباهجها ومنتزهاتها كموضوع فكري جميل، وهو ماذهب إليه الدكتور عبد المالك مرتاض في وصفه لنصوص الشعر الجاهلي بقوله" النصوص بحكم قدمها تتعامل مع المعتقدات والأساطير والزجر والكهانة والقيافة والحيوانات والوشم وكل ماله صلة بالحياة البدائية، ونعجب كيف لم يُفكر أحد من قبل في قراءة هذا الشعر بمقاربة أنثروبولوجية [12]" وهو يرمي بذلك إلى الخطوط الكبرى لمعاني البساطة والجمال دلائل الافتتان بالبادية وحياتها الريفية هياماً بألوانها، وشعر الطبيعة نابع من البساطة نفسها وهو ما نطقت به هذه الأشعار من إمتاع ببحرها وسهولها وليلها ونهارها وجليدها وصحراءها بكل صدق وجلاء ووضوح وبصيرة وقوفاً على عرضها.

---

[11]– رمضان خميس القسطاوي: الأدب العربي في مختلف العصور، مطبعة العلم والإيمان، مصر، ط1،2007، ص: 84.

[12]– عفيف عبد الرحمان الشعر الجاهلي حصاد قرن، دار جليل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص: 658.

المطلب الثاني: نشأة أدب الطبيعة العربي

نشأ أدب الطبيعة العربي عند الشاعر وهو يخطو تلك الخطوة على جوانب الطبيعة، فيتلقى ما يثير إحساسه، فيستغل كل طاقاته وإمكاناته الأدبية، بما فيها من محمولات برؤية فنية، فيردد ألفاظ الطبيعة في قالب شعري يجعل القصيدة تتفاعل مع أنفسنا جذباً ومغازلة.

بحيث" نشأ أدب الطبيعة العربي من ذلك الأدب الخالص، ونمت الشجرة وترعرعت لكن جذورها ثابتة في تربة الأدب، والأدب العربي ينبع من الأدب الجاهلي، ويصب أحياناً فيه، والحقيقة الثابتة أن الأدب العربي تأثر تأثراً بليغاً بالأدب الجاهلي"[13]وتجنح الآداب تسند بعضها البعض ثراءً.

المطلب الثالث: مـــراحل شعر الطبيعة

تتوثق العلاقة بين الشاعر العربي والطبيعة التي ينتمي إليهامن مراع وخيام وماء وجبل، فاندمجت نفسيته مع هذه الطبيعة حتى انتهى إلى التصوير والتغني، مما يشمل كل المظاهر فيشتد وضوحاً في أسلوب خال من الغموض والالتواء، مما يمنحها الوجهة الدلالية المعتبرة بالصورة الجديدة.

دخل شعر الطبيعة كمصطلح حديث وطريف في أدبنا العربي من نافذة الآداب العالمية، ومع مسايرته لكل معايير الآداب الأجنبية في غير عناء ولا مشقة باعتبار أن شعر الطبيعة قسمة بين جميع الحقبات والعصور الأدبية له أجزاؤه وتفصيلاته، وتتسع دلالاته لكل التفسيرات والتفاصيل الممكنة.

أولاً: شعر الطبيعة عند الغربيين:

"يطلق لفظ (الغربيين)على فئة من العلماء من الغرب أو العجم. أي من أمريكا وأوروبا وروسيا كرست وقتها أو بعضه وجهدها لدراسة تراثنا وأدبنا لأغراض متعددة، وكانت سبل اتصالهم بنا وبتراثنا بإحدى طرق ثلاث:

1- الأندلس قبل سقوطها بأيديهم وبعد السقوط.

2- الحملات الصليبية.

[13]- عفيف عبد الرحمان: الشعر الجاهلي حصاد قرن، المرجع السّابق، ص: 533.

3- استعمارهم بلادنا"[14].

فهناك آثار أدبية تمثل الطبيعة وتصورها في أجمل وأبهى حللها، وعليه ذاع صيت شعر الطبيعة، وقد تغنى الغربيون بما يسمى لديهم شعر الرعاة وظهر في قصص وحكايات الرعاة وقدورد على لسان wiliam hazlit ويليام هازليت،" إن للطبيعة شعرا يتمثل في حركة الموج وجمال الزهر"[15] بعمق.

وعندهم أن أصول وضوابط شعر الطبيعة الغربي: عمق الفكرة ومتانة التركيب وصلابة اللفظ، كما أنهم أخذوا من تراثنا ومن حضارتنا مما تهيأ للشاعر العربي من الشعر الكثير، ولربما برع فيه وتميّز.

" فهي تعني بالنسبة لأمتنا اهتمام الأوروبيين والأمريكيين بتراثنا بكل ماتعنيه الكلمة (تراث) من معنى واسع لما تقدم من أدبنا في التغني وبث لواعج حب الطبيعة بالمواقف العامة والجزئية.

ولما كان العصر الجاهلي يمثل فجر تاريخ أمتنا، كما يمثل عصرها الذهبي الأول تمثل لغة أدبه اللغة المثال لما درس ودوّن. وقعّدت قواعده فقد اتجهت أنظار فريق كبير من الغربيين إلى تناول هذا العصر من جميع الجوانب "[16]تعبيرا ووفاء وتصويرا ودراسة لما جاء فيه مما يفيد في نسيج ألفاظه.

ولربما كان الشعر العربي القديم أقرب وألصق في ظاهره مما يسميه الأدباء شعر الرعاة، وصفاً للبادية وتصويراً لحياة الريف ركن الطبيعة الهادئ، كل ذلك يصوره الشعراء كما تمثلتها تصوراتهم وأحبتها أنفسهم، وماوقع عليه بصرهم، أو اشرأبت إليه أعناقهم بالصيغة التي تربطه بالطبيعة الفاتنة.

"إنّ نظرة عجلى إلى هذه الأعلام تشي بأنالغربيين اهتموا بنماذج من الشعراء والقصائد تنفرد بشيء لايوجد إلاّ عندهم... لهم ظروف معيشية وسلوك خاص بهم يعكسه شعرهم" [17]القويم.

---

[14]- عفيف عبد الرحمان: الشعر الجاهلي حصاد قرن، المرجع السابق،ص:159.

[15]-سيد نوفل: شعر الطبيعة في الأدب العربي، مطبعة مصر، القاهرة، مصر، ط(د.ت)، ص:10.

[16]-عفيف عبد الرحمان: الشعر الجاهلي حصاد قرن، المرجع السابق،ص: 160.

[17]-عفيف عبد الرحمان: الشعر الجاهلي حصاد قرن، المرجع السابق، ص: 166 .

وهو الدليل على أن اللغة كانت ولاتزال تحظى باهتمام الباحثين، إدراكاً منهم بضرورتها في حياتهم كونها محورية فيها، تنبني عليها الحياة الاجتماعية، والسياسية والدينية والثقافية والفكرية مجتمعة.

والدلالة كإطار عام غدت أيضا محورية تتخذ من اللغة مادة للبحث ومصدر للدراسة كل ذلك بوجود علاقة للعلامات اللغوية، أو إن شئت تلك العلاقة الضرورية والهامة بين الكلمة والمعنى، وكخاصية مميزة لعلم الدلالة علاقة الدال والمدلول،" وثمّة خاصية أخرى للعلامات اللغوية نابعة من خاصيتها السيمونطيقية، وهي قدرتها على التحوّل على مستوى المدلول لكي يصبح بدوره علامة من نوع آخر تشير إلى مدلول آخر فيما يعرف بالتحول الدلالي في أنماط المجاز المختلفة"[18].

وللباحثين أثر بالغ في تنشيط حركة المفاهيم، حتى صار لكل علاقة دلالية رواد وأنصار وليبقى الشغف الكبير والاهتمام الجاد بسيرورة العلاقة الدلالية ، بتقديم الفهم الحقيقي والتفسير الكافي للعلاقات الدلالية من وجهة أدب الطبيعة فتناول الطبيعة الصامتة والطبيعة الحية وهو الإخلاص لها.

ثانياً: شعر الطبيعة عند العرب:

لا يعني مما سبق أنّ الطبيعة حِكرٌ على شعراء العربية من أسلافنا فحسب، بل تنّبه جميع الشعراء لما تحمله دلالة الفاظ الطبيعة من محمولات وطبّقت على ألفاظ البيئة.

"وإذا كان أسلافنا في مناقشتهم لدلالة اللغة على مستوى الألفاظ المفردة قد تنّبهوا لأنواع العلامات الأخرى الدالة، فإنهم في مناقشتهم لدلالة اللغة على مستوى التركيب قد تنبهوا أيضا لهذه الفروق التي أشرنا إليها بين دلالة اللغة ودلالة غيرها من أنظمة العلامات".

وطبقت بشكل عفوي على الطبيعة وإدراك الفروق والخصائص والخبرات المشتركة، وما انطوت عليه من محسوسات دقيقة.

وفي مجمل الأبحاث الدلالية في التراث العربي، والتي لا يمكن إجمالها في حيز أو نطاق معين، من نتاج العلوم الفكري، نجد أن هناك ميدان فسيحا للتداخل والتباين أحيانا،

---

[18]–نصر الدين حامد أبوزيد: إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط7، 2005، ص:86-87.

وهو ما نرجعه إلى نضج البحث الدلالي، حتى لاتكاد ترى البون الشاسع في إرساء تلك المنطلقات القاعدية لعلم الدلالة وإبداع ماله وعي فعال في إصدارات الباحثين القدامى والمحدثين، بقيت العلاقات الدلالية قطب الدوران في جهود السابقين فقد "اتفق علماء المسلمين إذاً على أن العلاقة بين الدال والمدلول في اللغة–علاقة الألفاظ بمعانيها–علاقة وضعية اصطلاحية، واختلفوا وراء ذلك في أصل المواضعة هي من الله ابتداء أم أن المواضعة أساسها بشري إنساني"[19]، وتعتبر هذه العلاقات لغة، وتتطور اللغة بتطور الحياة، وتظهر ألفاظ العلاقات الدلالية مواكبة للتحضر أو التمدّن، تتناول المفردات الطبيعية شعوراً واحساساً.

وصلة الشعر بالطبيعة منتسبة بنسب وثيق، وهذا شأن الشعراء هتافاً بالطبيعة الأخاذة، وافتتاناً بحسنها، ودعوتهم للتمتع بجمالها، وهي عناية طبيعية لا مبتذلة ولا مبتكرة لتناغم الإنسان مع الطبيعة وانسجامه معها وأنسه بها، وإنما ظفرت بقريحة الشعراء فجعلت صلتهم وثيقة بها ومزجوا ربطاً وتداخلاً بين بديع الطبيعة وإبداعاتهم وتعاملوا مع تلك الظواهر والأحداث الطبيعية تعامل افنياً، فيثير قريحتهم النسيم، وتستوقفهم الأطلال، ويرددون أصوات الطبيعة، ومحاكاتها، فتأخذ القصيدة نصيباً من معاني الطبيعة وإطلالاتها، فتأتي الألفاظ والمرادفات، والأضداد في عبارات تصويرية مماثلة للبيئة الطبيعية في كل مظاهرها المتنوعة والمختلفة، وقد ضمنها الشعراء في أدبهم ضرباً من هذه الانزياحات.

[19]– نصر الدين حامد أبوزيد: إشكالية القراءة وآليات التأويل، المرجع السابق، ص:69.

المبحث الثاني: المستوى الدلالي في شعر الطبيعة والعلاقات الدلالية في البيئة الطبيعية

المطلب الأول: العلاقات الدلالية في الشعر والنثر

تستخدم تقسيمات العلاقات الدلالية اعتمادا على أدوات البناء النحوي للجملة في الشعر وفي النثر وهو الدافع الذي تتبني عليه التغييرات الدلالية، إما تجديداً وابتكاراً، وإما إبداعاً واكتشافاً.

"إن هذا الرصد السريع الكاشف عن خبرة وتمرّس بالشعر العربي للبناء النحوي للجملة فيه صحيح كل الصحة، ولكنه لا يمكننا القول بأن هذه الأبنية التركيبية لا تأتي إلاّ في الشعر فحسب"[20].

وشكلت مواضيع شعر الطبيعة جسرا حقق أغلب ما يقصد إليه، فعرض صوراً متباينة للطبيعة في سائر ألوانها، واختار الألفاظ العديدة أدق اختيار عناية لفظية تشخص الطبيعة في سكونها وحركاتها.

والشعر هنا وعلى أنه ديوان العرب، فإنّ النص الشعري يقوم بإثراء المعارف، كعملية فكرية حاصلة في العمل، وهو ما أثبت مرونته، وكذا بدوره في صدق تعبير وحضور مشاهد، حاكت الطبيعة في دقة حاسة بصرية متنوعة دالة بشكل مباشر، وناقلة لمضمون إحساس شمولي، وهو الارتباط الوثيق بالطبيعة.

والعلاقات الدلالية في الشعر نتاج قد تتجاوز نطاق الشكل العام اللغوي، بحيث أن الشعر فنٌّ يمتطي صهوته المجيدون، وهو أول غرض يشكل اهتماما متعلقا بالوجدان الإنساني، فالشاعر يمدنا ببعض الأفكار أو الأساليب، تأخذنا إلى التفكير فيما حولنا أو إحساسنا بما لدينا، وباستعماله تلك الخاصية في بناء وتركيب تلك العلاقة الدلالية بأكثر نقاء وشفافية في اللغة، ويرجع ذلك لاختياره الدقيق في إظهار سلامة العبارة ووضوح كنه التعبير والدلالة، مما يؤدي فائدة في التحليل ويبرهن عليه.

---

[20]–محمد حماسة عبد اللطيف: الجملة في الشعر العربي: المرجع السابق، ص:88.

المطلب الثاني: المستوى الدلالي في شعر الطبيعة ومساره

ينظر الباحثون والمعنيون بدراسة اللغة على أن ظاهرة ارتباط الإنسان بالطبيعة تبدأ بشكل أو بآخر منذ بداية الإنسان في التفكير في من حوله، وهم بذلك يضعون تفسيرات لعامة الظواهر ، مما ينعكس إيجاباً عل خدمة التوجه الفكري، محددين بذلك مقاصد التعامل الطبيعي للبيئة باللغة المتداولة فيما بينهم، باعتبار اتفاقهم على أن اللغة: فعل كلامي اجتماعي ترتكز عناصره على مستويات اللغة أثناء الأداء اللغوي استكمالاً لما يمت برابط للمسألة الدلالية وصولاً إلى حقيقتها.

ومن أبرز مستويات هذه اللغة المستوى الدلالي، يمتّن المعنى تجلية للصورة عند المتلقي، وليس من المبالغة إذا قلنا أن دخول الدلالة في فلك التنظير الطبيعي للألفاظ، تغير مسارها من مجرد أداة لتفسير المعنى البيئي وشرحه، إل ضبط الفهم بفرضية التبليغ، وإيجاد آلية تحقق مسلك الوقوف على معنى الألفاظ الطبيعية على اختلافها، لغوية كانت أو أسلوبية أم جمالية .

وتتكفل أهمية السياق بالفهم المناسب للألفاظ الطبيعية، بنمط دلالي يستدعي مقاربة تخصه دون غيره، إذ نعتبر تفسير ظاهرة الألفاظ الطبيعية تعبير عن معنى قائم على ملفوظ، وبذلك يتراءى لنا عند تشريح النصوص، وأثناء تمحيص الألفاظ معظم الظواهر الطبيعية، كالتخصيص، أو التعميم، أو العلاقات الدلالية في مجمل القصد من إنتاج السلسلة البيئية، بدء من الأصوات وانتهاء بالظواهر الطبيعية رغبة في التناول السليم، والبرهنة الواضحة، والقيم الرفيعة بما يفرّق بين الخاص والعام.

لأن المعاني الدلالية المتواجدة ضمن الألفاظ الطبيعية قد لا تكون معان بعينها واردة في المتداول، بما أفصحت عن مقاصد المعاني الدلالية، بحثا عن نماذج تتقارب في مدلولاتها وتمثّلاتها.

ولا نريد هنا أن نضيق من شمولية مدلول الكلمة، وإنما نريد أن نبين أن للدلالة أكثر من وجه دلالي يخضع للسياق والتركيب لتتصهر جملة هذه العناصر كلها في بوتقة واحدة، لتسهم في بناء الألفاظ الدلالية للألفاظ الطبيعية، وهو تلك القدرة على تجاوز ما هو منجز، وما تيسر نقله وتمثيله.

وعموما فإن ألفاظ الطبيعة تنطلق أول ما تنطلق من المفردات بوضع اللفظ نصب أعيننا، موازياً للحالة المعجمية، ثم يُبحث في تاريخها اللغوي، التماسا واستعانة بمسارها الطبيعي، دلالة وسياقاً، وتموقعاً، مرورا بدراسة التراكيب الواردة فيها وعلاقاتها الدلالية منتهياً إلى السمات الفنية في ضبط المعنى المراد دراسته، بما تلتقي كعوامل حاسمة في تشكيل معين وفق منطق الاستعمال وتصفحها، "إذ لا يوجد تعريف جامع مانع خاص بالإبداع"[21].

وتعرف ألفاظ البيئة الطبيعية على مسار امتدادها الزمني ألفاظاً ترافق البحث اللغوي وتطوراته، وتمثل اللغة مخزوناً كمياً حسب ما تقتضيه الحاجة الفكرية أو التواصلية، ومع دراسة الظواهر الحياتية للطبيعة تواكب ألفاظ الطبيعة وتلقي بدرجات ظلالها وتبعث إلى توليد الألفاظ" إن اللغة فعل اجتماعي خاضع للتطور في أدق تفاصيله، وتطور اللغة يعني حياتها وإن أكثر العناصر اللغوية قابلية للتطور والتغير في اللغات الإنسانية هو دلالة المفردات ، كما أن تطور الدلالات في داخل الكلمات يعكس على العموم وظائف حيوية مهمة في تاريخ الشعوب"[22] ذات نفع بأبعاد مختلفة للطبيعة.

ومعرفة معنى ألفاظ الطبيعة دون معرفة مقامها داخل النّص الشعري قد لا يصل بنا إلى الفائدة المرجوة، فلا يمكن بتر البناء عن السياق لرصد نتائج التماسك الذي تؤديه بنية النص الداخلية أو الخارجية ، كل ذلك ينبني اعتمادا على الدراسة اللغوية وهي الكلام أو النص اللغوي "والنص اللغوي يخضع إلى تعدد الأوجه التفسيرية وفقا لما يعكسه النص في ذهن المتلقي، وحينها يتحمل السياق عبئا كبيرا في ايضاح هذه الأدلة، وأحيانا يخفق للأسباب نفسها. ولا يخفى علينا أن التقسيمات التي وضعها علماء العربية لمتن اللغة طبقا لدلالة الألفاظ تضيف إلى هذه العلاقات مستوى الكلمات الواضحة المعنى، ذات الدلالات المختلفة"[23]وتباين هذه التقسيمات بالنتائج.

وأول ما يطالعنا في ملامح وخصائص ألفاظ البيئة الطبيعية وكذا المعاني المعجمية باعتبارها ذات مركزية تتحرك وتنجذب نحو فضاءات متعددة، وتتم فصل دلالات المعجم

---

[21]– صالح غيلوس: التلقي والإنتاج في ضوء العرفانية، البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، الجزائر، ط1، 2017، ص: 126.

[22]– ضرغام الدرة: التطور الدلالي في لغة الشعر، المرجع السابق، ص:20.

[23]– ضرغام الدرة: التطور الدلالي في لغة الشعر، المرجع السابق، ص:26.

بتلازم المعنى المقصود بالمعنى التأويلي، أي باعتباره حاملا لدلالات لا تحصل إلا بالتأويل. "فالمعجم ليس مجرد خزان ولا مجرد قائمة من الوحدات، وإنما هو آلية أو بنية تشغل في بنية من البُنى ليست منها فتتحقق فيها... لأنه يمثل النسيج الرابط بين النظم اللغوية المختلفة"[24]. وإذا عرفنا أن العلاقات أن العلاقات الدلالية متناصة في مجملها، وكل علاقة توجد في مفترق عدة دلالاتها ومعان فإن اللفظ لا يماثل معناه الآخر مهما تقاربا أو تشابها، غير أنه يمكن أن نقول: أن تجاوز الألفاظ العميقة إلى الألفاظ السطحية والتي يحكمها المعنى وهو ما يسمى بالأدوار الدلالية باعتباره يكسب اللفظ بعدا معجميا في الموضوع، وهذا مايعتبر إقراراً ضمنياً بأن اللفظ اللغوي مجموعة منجزة تعبر عن معنى يحتاج باستمرار إلى دليل، وضوابط تضبط قواعد عملية الكلام بالظواهر الدلالية.

بيد أن العلاقات الدلالية مجموعة من الدلائل كل وحدة أو كل عنصر يمثل أنموذجاً للمعاني الذهنية الواردة، فاللفظة الواقعة في مفترق طرق مجموعة الألفاظ الكلية دون تضييق حيزها الجزئي، باعتبار أن بعض المعاني تبدأ بدرجة الكليات أو العموم في صياغة فكر ما أو تصور ما، بما يكفي له.

"وبمقتضى المعنى يمكن أن نوسع علاقات المفردة مع غيرها من المكونات، فالدلالة المعجمية المستقلة افتراضا والمتحولة إلى معنى بمجرد اندراجها في التركيب هي التي تحفزنا إلى معناها المكتسب أولاً، وإلى معاني غيرها من المفردات التي ترتبط بها ثانياً، فللفظ دلالتان: دلالة تربط اللفظ بما يحال عليه من خارج التركيب، وهي دلالة سمتها الإفراد...ودلالة معنوية تربط اللفظ بغيره لتنشأ علاقات معنوية ممثلة في ماهو لفظي"[25]، وهو ما يتأتّى في ظل تماثل وتقارب الألفاظ إجمالا وتفصيلا.

ولربما اتصلت مظاهر العلاقات بتقدم الإنسان حضاريا وفكريا، مصاحبة العقل البشري في تطوره وذلك لسد النقص أو لتوليد متطلبات الحاجة الفكرية، لِتُصاغ الظاهرة اللغوية على نحو معجمي بمقاييس تعمل بموجبها العلاقات الدلالية تجمع بين الجانب الشكلي، ولبّ الفن الشعري.

---

[24]–الأزهر زناد: فصول في علم الدلالة ما بين المعجم والنحو، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010 م ، ص:76.

[25]–عبد السلام عيساوي: قضايا المعنى في البنية النحوية، المرجع السابق، ص:193.

" إن هذه الاعتبارات مجتمعة هي التي تدفعنا من جهة إلى الانطلاق من أن المرئي نص له معنى، وأن الكشف عنه يتصل بقدرة المتلقي على استخراجه، وتقديمه من خلال التأويل"[26].

وبتقديم توظيف العلاقة بين المعاني اللغوية والسياق يظهر النشاط الدلالي كلون آخر من الظواهر اللغوية التحويلية لأن الغرض من التحويل في زيادة بعض العناصر اللغوية، أو حذفها فضلاً عن وظيفة الكلمة المفردة في اللغة التي تعتبر توصيلاً معنوياً يفترض فعلاً واستجابة كمنهل يستجيب لعجلة هذه العلاقات في جانبها التواصلي، ما يمكن إخضاعها لالتماس نظائرها ووثيق علاقاتها.

"وهكذا فإنه يعد التواصل اللغوي نوعاً من الاستجابات لمثيرات تقدمها البيئة أو المحيط وقد أسقط بلوم فيلد Bloom Field تصوراته على الظاهرة اللغوية فكان حصيلة ذلك كله أن أقر مبدئياً أن الجوانب الدلالية للعناصر اللسانية لا تعدو أن تكوّن الموقف الذي يقوم فيه المتكلم المستمع المثالي للغته بالإنتاج الفعلي للحدث الكلامي ورد الفعل أو الاستجابة التي يتطلبها ذلك من المستمع"[27]والتي نعتبرها كفيلة بالتواصل، ونحسبها تخدمه، فالكلمة في اللغة تختلف عن الكلمة في الشعر لأن هذه الأخيرة تختص بضرب من عناصر انفعالية سلباً أو إيجاباً في ذهن المتلقي، على أن للفظ في اللغة أسس عامة وقوانين خاصة في تقدير المعاني واستعمال اللفظ في موضعه وقفا على أبعاده وتحديد دلالته، بما لا يمكن أن يلتبس فيه المعنى.

أما الألفاظ وتراكيب اللغة الشعرية فهي من دلالة السياق وما نص عليه اللفظ " ولغة الشعر خاصة في بنائها وتراكيبها ولا تخرج مفرداتها عن حدود المألوف لكنها تنفرد في قدرتها على استيعاب الصورة المختلفة في نفس الشاعر باستعماله تلك اللغة استعمالاً يخرج بها عن تلك الحدود"[28].

لذلك فقد وصف وأضاف شحنة دلالية بعلاقاتها وأحسّ ألفتها وتعامل معها بشكل متناه ظهر ذلك من خلال الأساليب الملازمة والمعاني المتماسكة في إحدى المعنى الجديد

---

[26]–سعيد يقطين: السرد العربي مفاهيم وتجليات، دار الأمان، الرباط،ط1، 2012م، ص: 203.

[27]– حنيفي بن ناصر ومختار لزعر: اللسانيات منطلقاتها الفكرية وتعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط1، 2009م، ص:58.

[28]– ضرغام الدرة: التطور الدلالي في لغة الشعر، المرجع السابق، ص:33.

وما نتج من معنى وأثر في ثنايا حمولة اللفظ وصقل بقوة أكثر في الشعر، بل تفاعل مع كل مظاهر العلاقات التركيبية بكل مكوناتها، ومن ذلك العلاقات التي تتكون منها اللغة، وما يجمع بين دلالة الألفاظ وتناولاتها.

"وكل نص يحمل دلالتين: صريحة وضمنية، فالدلالة الصريحة: هي ما يمثل معنى المفردات والجمل وفق سياق التركيب اللغوي ونظامه المتعارف عليه.

أما الدلالة الضمنية: فهي الدلالة التي يوحي بها النص لقارئه"[29]مع مراعاة صيغة وطبيعة المنحى والمفهوم المبتغى لمسار الموقف التركيبي.

المطلب الثالث: العلاقات الدلالية في ألفاظ البيئة الطبيعية

تعددت مناحي البيئة الطبيعية في عصرنا الحديث وعمت مظاهر الحضارة جميع مناحي الحياة الطبيعية، وتمكّن الفكر البشري من الاعتماد على صقل العلوم البيئية في شتى الميادين والمجالات.

وقد عنى جيل العصر الحديث هذه العلوم عناية واهتماماً منقطعي النظير، وتسابقوا في تبيان دائرة أهمية البيئة الطبيعية في حياته، بل توسعت لتشمل معظم التغطيات البيئية كل ذلك تناهى في دقة استعمال وملاءمة للحداثة المنشودة والجديد الرائد في مجال البيئيات، مما انعكس على الجانب الأدبي منه وقد سلك الكثير من الأدباء منهج الوصف والحداثة والابتداع والتفنّن في ذكر الطبيعة وأوصافها، وما ارتبطت معانيها بمفاهيم من زاوية معينة وتصورات محددة، ومن ألفاظ البيئة الطبيعية وعلاقاتها الدلالية " ما ارتكز على جانبين اثنين:

1-الجانب النظري: ويحاول تفسير الظواهر وبيان القوانين التي تحكمها.

2-الجانب التطبيقي: ويرمي إلى تطبيق القوانين النظرية على الحالات الجزئية"[30].

وظهرت إلى الوجود ألفاظ أخذت أبعاداً دلالية جديدة مثل:(البيئة، محاكاة الطبيعة، أصدقاء البيئة، الأخضريون...).مسايرة للعلاقات الدلالية (الترادف، المشترك اللفظي، التضاد...الخ).

---

[29]- ضرغام الدرة: التطور الدلالي في لغة الشعر، المرجع السابق، ص:44.

[30]-حنيفي بن ناصر ومختار لزعر: اللسانيات منطلقاتها الفكرية و تعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط1، 2009م، ص:48.

كما أن بعض الألفاظ أخذت أبعادا دلالية جديدة، ولكنها لم تختص "بميدان معينبذاته ولكنها كانت شائعة في الحياة البيئية الطبيعية، وهي ألفاظ يحدد السياق والاستعمال معانيها الدقيقة مثلما أنها خضعت للتصوّر المستمر في الدلالة مع مر العصور"[31].

[31]– ضرغام الدرة: التطور الدلالي في لغة الشعر، المرجع السابق، ص:353.

الفصل الثاني

البيئة الحيّةُ والبيئة الصامتة في ديوان محمد العيد آل خليفة

المبحث الأول: الطبيعة الحيّة والبيئة الصامتة في ديوان محمد العيد آل خليفة

اهتم الأدباء والشعراء بالطبيعة وانجذبوا إليها، ووصفوا جوانبها، من رياض مزهرة، ومياه عذبة وحيوانات جمة وجمادات مختلفة وزقزقة مغردة، وتعلقوا بأرضها وسمائها، واستظهروا حبهم لها وتفننوا في وصف شعورهم وأحاسيسهم، واستلهموا نبوغهم من مكونات الطبيعة وعناصرها من الحيوانات والطيور ومن النجوم والكواكب ومن الشمس والقمر وما شابه ذلك من الليل والنهار، والجبال والأنهار، وسائر الفصول وما إليها، والطبيعة هي "الخليقة والسجية التي جبل عليها الإنسان"[1]، ونحو ذلك قول الله تعالى:﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[2].

واطلعت الإنسانية بشكل عام، والشعراء بشكل خاص على نظام الكون، فابهروا به وبتناسقه، وكان لديهم تناغم مع الطبيعة لما لها من المزايا العديدة، والنفع العميم، وما يعود على الإنسان من فضل، وهي الدعوة المفتوحة للإبداع.

"فالطبيعة وزنها فعلية وأصلها من طبعت الشيء أي قررته على أمر قد ثبت عليه، كما يطبع الشيء كالدرهم والدينار فتلزمه أشكاله، فلا يمكنه انصرافه عنها وانتقاله"[3] وتلك أوضاع الطبيعة.

وشعر الطبيعة باعتباره من بين أقدم الفنون ذلك أن الإنسان نشأ في البادية، فظلت الطبيعة مهبط وحي الشاعر، يطوف بخياله ينشد شعرا وسط الطبيعة، بعيدا عن المدينة كتعبير له عما يلاحظه من فضاءات الطبيعة ومنابع مياهها، ومنابت أشجارها، ومسارح قطعانها فحفل شعرهم بالمبتكرات.

"وقد تناول شعر الطبيعة في العربية، كما تناول عند الغربيين الطبيعة الحية والطبيعة الصامتة"[1]، وعرض مختلف الصور صمتاً وسكوناً، ثرثرة ونشاطاً في غزارة وصف، وبلاغة

---

[1]– ابن منظور: لسان العرب، مادة: (طبع).

[2]– سورة النحل: الآية:108.

[3]– ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النّجار، دار الهدى بيروت،ج1 ، ص: (د، ت).

تعبير، وتبدو الطبيعة إلى التشخيص باعتبار رموزها في منظور الفكر الإنساني إلى رمز الفرح والسعادة وطيب شذاها، وكان القلق والتشاؤم بشحوب ألوانها وحيرة محبيها، وذهب الشعراء في ذلك أقساما مختلفة وتناولوا قضايا متغايرة، وبثوا التأمل وثمّنوا الطبيعة بكل ماهو جميل تخطف الألباب وتسحر العقول، "وتُقَسَّم الطبيعة إلى قريبة وبعيدة، باعتبار قربها أو بعدها من الإنسان.

فالقريبة: ما قربت من الإنسان في الأرض التي يعيش عليها من جبال وأنهار وأشجار، وينابيع وعيون وما إلى ذلك.

والبعيدة: كل ما يقع عليه الحسّ من ظواهر وعناصر سماوية من: سماء ونجوم، وكواكب وشمس وقمر وسحاب ورعد وبرق وما شابهها، وتكون هذه الطبيعة مقابلة للطبيعة الأرضية"[2].

إنك ترى الوصف يتعدى الطبيعة القريبة، فيصف البرق ويتتبع الغيث، ويعاين سيول الجبال وصخور الأرض وما يندرج تحت ذلك من تلك الظواهر الطبيعية، ولربما يصطنع ماجدّ منها أوغاب عن إدراكه، ترغيباً في حقيقتها، وشعوراً بالانتماء إليها، والإحاطة بخصوصياتها.

أما شعر الطبيعة "فهو الشعر الذي يمثل الطبيعة أو بعض ما اشتملت عليه، والطبيعة تعني شيئين اثنين:

أ- **الحيّ:** مما عدا الإنسان.

ب- **الصّامت:** كالحدائق والحقول والغابات والجبال وما إليها"[3]وقد عرفا كل شاعر فيما ينسب إليه من شعر مقامه، واستغل قريحته ومواهبه بحسب وصوله وشهرته، واستكمل نبوغه بأفضل ما يمكن أن تجود به تلك المعاني الدلالية سموّا في ألفاظ البيئة الطبيعية.

---

[1]-سيّد نوفل: شعر الطبيعة في الأدب العربي، مطبعة مصر، القاهرة، مصر، ط(د.ت)، ص:13.

[2]-آلان سمين مجيد زنكنة: العلاقات الدلالية بين الفاظ الطبيعة، في القرآن الكريم، رسالة ماجيستير، إشراف هشام سعيد النعيمي، كلية البنات، جامعة بغداد، العراق، سبتمبر2002، ص:12.

[3]- سيّد نوفل: شعر الطبيعة في الأدب العربي، مطبعة مصر، القاهرة، مصر، ط(د.ت)، ص:11

ومعنى الحي مما عدا الإنسان تلك العناصر التي تشمل الطيور والحشرات والحيوان بمختلف تنوعاته، قال الله تعالى:﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[1]،وهو عرض موجز وكاف لمحتويات هذه الطبيعة.

"لقد استطاع الإنسان بفضل العقل الذي وهبه له الخالق أن يتعلم فن الكلام والتفكير، وبهذا تميز على الحيوان، واستطاع أن يورث معرفه لأبنائه وبهذا كانت البشرية ولاتزال تتقدم جيلا بعد جيل"[2]، حتى صار لكل جيل رواده صنعوا التقدم المعرفي في ضبط أنواع الطبيعة ،ولربما تعددت وتنوعت التعريفات في تحديد أنواع الطبيعة لكنها تصل في النهاية إلى أن هذا الكون و ما يحتويه من ظواهر أو عناصر يدركها العقل الموهوب في تحديد ماهيتها انتماء لهذه الطبيعة و ما يوغل في عالميتها.

لقد وضّح لنا محمد العيد آل خليفة في ديوانه طريقة تناول ودراسة فكرة نظرية العلاقات الدلالية، بدءاً بتجميع الألفاظ وكذا الألفاظ المتقاربة، أو الأشد تقارباً، ووضعها في رافد يشملها ويعنون بعنوان تحت طائلتها، في حقل معجمي"والحقل الدلالي أو الحقل المعجميsemantique أو الحقل المعجمي sémantique هو مجموعة من الكلمات التي ترتبط دلالتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها ، مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية فهي تقع تحت المصطلح العام(بلون واحد)(وتضمُّ ألفاظاً مثل: أحمر، أصفر، أخضر، أزرق...الخ)"[3] وهو مجموعة الألفاظ التي توافقت معانيها وترابطت تحت لفظ عام واحد يجمعها، مما يضمن انسجام الحقل وتفتّحه لألفاظ وعناصر أخرى جديدة وقد قسم محمد العيد آل خليفة الفاظ الطبيعة إلى مجموعات هي: الطبيعة الحيّة والطبيعة الصّامتة.

---

[1]–سورة الأنعام: الآية: 38.

[2]–محمد العزب موسى: حرية الفكر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1979، ص: 14.

[3]–أحمد مختار عمر: علم الدلالة، مطبعة عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998م، ص: 79.

المطلب الأول: الطبيعة الحيّـــة

1- الطبيعة الحيّة:

1-1- ألفاظ البيئة الطبيعية الدالة على الحيوانات المفترسة:

أ- الذئب:

من بين تلك الحيوانات البرية الآكلة للحوم، يتعاون على شكل مجموعات في اصطياد فرائسه، ويتنقل يومياً لمسافات طويلة، بحيث لا يمكث الذئب في مكان واحد، ويستطيع الذئب بواسطة عوائه التأقلم والتواصل مع أعضاء آخرين، وينخرط ففي صفوفهم، كما تتشبه الذئاب بشكل كبير مع الكلبيات، وقد ورد ذكر الذئب في ديوان محمد العيد آل خليفة، وفي ذكر صفاته وخصائصه، حيث يقول:

لولا الهدى من بعض أهل الهدى •◌•◌• اقسمت ما في الناس إلا الذئاب.[1]

إنّ أروع الصور من ألفاظ البيئة الطبيعية الدالة على الحيوانات المفترسة ما امتاز به الشنفرى في شعره من شدة الوصف الدقيق وذكر أهم ما ألفه هذا الحيوان من عادات وما التصق به من وصف، وهو ما جاء في شعر الصعاليك قول الشنفرى[2]*:

غداً طاوياً يعارض الريح هافياً •◌•◌• يخوت بأذناب الشعاب ويُعْسِلُ.[3]

" فالذئب الجائع الذي لا يجد الطعام، والجوع الواضح لديه في نحول جسمه، وخلوه من اللحم يظل ينتقل بين الفلوات بحثا عن الطعام، وهنا قيمة دلالية وتداولية أيضا في مفهوم الشعر، فاللغة منظومة اجتماعية ولكنها تتجسد في إنتاجات فردية"[1] يتفاضل فيها النسيج اللغوي.

---

[1]- ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(13)، قصيدة: منظر تاعس ناعس، ص: 30.

[2]*-الشنفرى: ثابت بن أوس الأزدي المعروف بالشنفرى لغلظة شفتيه، والشنفرى نفس تركت الأهل وضربت في الصحراء تحمّل الشنفرى إهانة أهابت بنفسه الكريمة فنفثت همها في قصيدة سميت ب " لامية العرب" تضمنت فخرا، ووصفا للبراري، وألفاظ البيئة الطبيعية.

[3]-عبد عون الرضوان: موسوعة شعراء العصر الجاهلي، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2001م، ص:164.

وفي الآية الكريمة من سورة يوسف قول الله تعالى:﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَخَاسِرُونَ﴾.[2] فالذئب في اصطياد فرائسه لا يضيع الجهد في معارضة الريح بل في مسايرة هبوب الرياح.

ومنه قول محمد العيد آل خليفة في ذكر اسم من أسماء الذئب.

ومضى بهم عمر الشهيد يقودهم •◌•◌• للحرب ينأم نأمة الرئبال.[3]

كما استخدم" واستعمل الشعراء لفظ الذئب على سبيل المجاز، وقصدوا به السفهاء من الناس"[4]، وذلك لأن من الناس من يتظاهر بالورع داخليا، وهو مناقض لذلك ومخالف له ظاهرياً.

ب-الأسد:

اعتبر الأسد قديماً ولايزال رمزاً للقوة والشجاعة، واختص عصرنا بعرض الأسد من بين أبرز الوحوش في المنتزهات والحدائق، وفي الحضارة الإنسانية يمثل رأس الأسد عنوان البسالة والتملك، حيث جاء في ديوان محمد العيد آل خليفة في ذكر الأسود والضواري:

جاثمات كأنها لبوءات •◌•◌• في جسوم كأنها آجام.[5]

تحفل المصادر الشعرية والأدبية بذكر الأسد وبأسمائه وصفاته، وتتفق غالبية النعوت والصفات على المفاخر مما يشبه الأسد من الوصف كالشجاعة والمكابدة، وكذا التباهي، وقد سلك محمد العيد آل خليفة مسلك قدامى الشعراء في ذلك واستمر على منواله مفتخراً متباهياً.

وما جبهة التحرير إلا عريننا •◌•◌• وما جيشنا إلا اللّيوث به تضرى.[1]

---

[1]-جلول سليم حمريط: دلالات أبنية الفعل في لامية العرب للشنفرى، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، مصر، ط1 ، 2019م ،ص: 107.

[2] – سورة يوسف: الآية: 14.

[3]– ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(22)، قصيدة: استقلال ليبيا، ص:349.

[4]–نوري حمودي القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي، المرجع السابق، ص: 162.

[5]– ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(06)، قصيدة: ويخلد الإسلام، ص:176.

فاستعمل لفظ الليث استعارة للجيوش الجزائرية الباسلة التي أرغمت المستعمر على الهزيمة.

ما هابه الليث الهصور من الردى •◌•◌• قدرت عليه الظبية الهيفاء.[2]

ومن المشترك اللفظي أيضا الليث، وهو اسم من أسماء الأسد، ومنه أيضا السبع:

ما أطول الموت باعا •◌•◌• لم يخش حتى السّباعا.[3]

والسباع ألفاظ تطلق على الضواري، من ذوات المخلب والأنياب في الغابة.

قال الله تعالى:﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.[4]

من يسكت اللّيث ومن يسكن •◌•◌• إن هدوء اللّيث لا يمكن[5].

والليث لفظ من أسماء الأسد مثل بقية الأسماء السابقة، وبقية الصفات التي تطلق عليه

والوحش سلوان في الغابات منطلق •◌•◌• والطير جذلان في الأوكار زقزاق.[6]

ومنه قول الله تعالى:﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[7]

فالوحوش ونعني بها بقية الذئاب والسباع، ونحوهما من الضباع وغيرها.

---

[1]– ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(27)، قصيدة: الذكرى العاشرة لفاتح نوفمبر، ص:439.

[2]– ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(04)، قصيدة: دمعة منهمرة على فتاة منتحرة، ص:475.

[3]– ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(01)، قصيدة: الوداع الوداع، ص:463.

[4]– سورة المائدة:الآية:03.

[5]– ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(30)، قصيدة: هيجت وجدي، ص:329.

[6]– ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(11)، قصيدة: جمال الريف، ص:56.

[7]– سورة التكوير : الآية:05.

1-2- ألفاظ البيئة الطبيعية الدالة على الحيوانات الأليفة(الأهلية):

أ- الغنم:

من الحيوانات الأهلية يوظفها الإنسان لصالح حياته، مستفيدا من حليبها وصوفها وجلدها ولحومها، وصغير الغنم الخروف وهو ضمن القطيع، والغنم من الحيوانات المجترة غذاؤها العشب وما يضاف إليه من الحبوب والأعلاف، تعيش الأغنام في قطعان.

-أوجه التشابه والاختلاف بين الغنم والماعز:

أولاً- الأغنام:

- تربية الأغنام متواجدة بمعظم دول العالم.
- يغطي جسم الغنم صوف كثيف.
- لها سيقان غاية في الرشاقة، ومنها ما يشبه الغزلان.
- ذيول الأغنام تتنوع بين الغلظة والرقة وأغلبها غليظ.
- يستفيد الإنسان من صوفها في صناعة الملابس وكذا تدخل جلودها في بعض الصناعات وأما حليبها فهو أندى وأنفع.
- للأغنام في نهاية كل فك طواحن، بحيث تمتلك قدرة أخذ العشب وتناوله من أدنى مكان على اليابسة.
- فترة حمل الأغنام خمسة شهور لا غير.

ثانياً-الماعز:

- جسمه مغطى كلية بالشعر خلاف الضأن.

-كثرة الحركة والفضول عند الماعز مما يسهل عليها تناول الغذاء العشبي بصورة مفضلة على أوراق الأشجار والأغصان والمراعي.

-مدة حمل الماعز بين أربعة وخمسة شهور.

-بخلاف ذيل الغنم فإن الماعز يمتلك ذيلا قصيرا ملتو ومقوص نحو الأعلى.

-حوافز الأغنام والماعز مقسمة إلى جزئين.

ذكر محمد العيد آل خليفة الأغنام وخصها بالذكر كونها الحيوان الأقرب والمناسب لحياة البدو الرحل، وهو بذلك لا يمل الحديث عن أوصافها وتعقب سيرها ورعيها ومنافعها، ومنها قوله:

كسرب من الأغنام أخطأت الحمى •ٍ• فظلت سواء القصد والجو مغبر.[1]

وقد وردت أحاديث نبوية شريفة تدعو إلى الاعتناء بالغنم وتحث على طلب الرزق منها.

والغنم مصدر الشاء وليس لها واحد من لفظها، وإنما يقال للواحدة شاة وتجمع على أغنام وغنوم و أغانم[2]، والغنّام الكثير الغنم وراعيها، وهو كثير الغنم وكثير الغنائم، قال الله تعالى:﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [3]، وكذلك قوله تعالى:﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [4]، وقد وردت بصورة لفظية موازية في قول محمد العيد آل خليفة:

وفي المزارع قطعان منوعة ضأن ومعز وأبقار وأنياق.[5]

وهنا يبدو الإعجاب بهذا المنظر الطبيعي في تركيبته، مما ترتاح لها لنفس كعامل من الإعجاب، ومما يدل على عبقرية الواصف تغييره واستبداله للفظ(غنم) بلفظ(ضأن)،فقد "فضل العرب الضأن على المعز لأن صوفه أغلى وأثمن قدرا من الشعر، ولبنه أطيب وأخثر وأدسم"[6]، ومنه قوله تعالى:﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[7].

فالضأن اسم جنس لخلاف الماعز، وإليه ينسب لحمه، فنقول لحم الضأن أي لحم الغنم.

---

[1]– ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(09)، قصيدة: وقفة على بحر الجزائر، ص: 17.

[2]– فؤاد أفرام البستاني: منجد الطلاب، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط26، 1982، ص:528.

[3] – سورة طه: الآية:18.

[4]– سورة الأنبياء:الآية:78.

[5]– ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت (08)، قصيدة جمال الريف، ص: 56.

[6]– نوري حمودي القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1970، ص:127.

[7]–سورة الأنعام: الآية:143.

ولذلك رأى محمد العيد آل خليفة الفضل الكبير في الشاة لأنها شديدة التحمل أثناء البرد والمطر، وكذا العواصف والرياح، ولأن ضروعها أصفى للحليب، ولحمها أشهى وأطيب وصوفها أكثر استعمالا، والشاء أي لفظ الشاء مصدر لا واحد له من لفظه، وفي ذلك قول محمد العيد آل خليفة:

وخلّ سوءً توخاني لأخلفه •◌• في ذبح شاء عجاف وهي إيثار.[1]

ب- الغزال:

يعتبر الغزال من الحيوانات الأليفة الكثيرة السرعة ، والأشد رشاقة وفصيلته البقريات ، يتواجد في المراعي على شكل قطعان، وعلى مشارف الجبال وفي الأراضي الصحراوية الرملية، تتباين ألوان الغزال وتتفاضل، بحيث أن للغزال ما يقارب الخمسة عشرة نوعاً، كما أن تواجدها على شكل قطعان لا يعرضها للخطر كعينة مستهدفة لأعدائها، وقد ذكرت الدكتورة صفية مطهري من صفات الغزال فقالت:

"وفي الغزال خمس صفات قلما توجد في أنثى على ظهر البسيطة وهي":

-حور في العين.

-وطول في الجليد.

-واتساع في الصدر.

-وضمور في الخصر.

-وخفة في القوائم.

وهي أوصاف دقيقة راقية تدل على رفعة الذوق العربي وسموه في تذوق الجمال، وقد لا توجد هذه الصفات عند ملكة جمال العصر.[2]

وجاء في ديوان الشاعر محمد العيد آل خليفة قوله:

إنها نهضة تضاهي ظبي الهند •◌• مضاء وتشبه البرق طيّا.[1]

---

[1] – ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت (28)، قصيدة: يادار، ص:08.

[2]–صفية مطهري: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، المرجع السابق، ص139

ردّ محمد العيد آل خليفة للظبي أوصافه، وشبه تناسق أعضائه فهو الحيز الخاص للتعبير عن أوصافها وذكر رشاقتها، وعمد إلى هذا التصوير كي" يظهر قدرة جديدة من قدراته التي يحاول فيها تغيير الصورة المألوفة[2] "، ومما يبعث في النفس من صفة الظبي السرعة التي يمتاز بها، وجميل بعض أعضائه التي يضرب بها المثل، وهو الباعث للشعراء للتمثيل بحسنها ورونق جمالها.

وسطورا تمثل الحسن للرائي •◌• فتحكي خيوط الغزالة زيّا[3].

ويعتبر "الغزال حيوان من ذوات الأربع أقرن سريع العدو جمع غزلة وغزلان ومنه الغزالة أي أنثى الغزال".[4]

ج- البعير :

تتفق العرب على أن البعير هو ما كانت نابه مشقوقة، وصلح وقوي على التحمّل والركوب، ومنه ذو السنام الواحد، ومنه ذو السنامين، وبعض الدراسات تخلص إلى أن عمر البعير بين الثلاثين والأربعين سنة، وقد جاء في ديوان محمد العيد آل خليفة حول البعير ما قوله:

ضاق الرّعاة السائسون بعقل من •◌• في طبعه مثل البعير ندود.[5]

عدّ العرب البعير من الحيوانات الأكثر ارتباطاً بالبيئة الطبيعية، كما أنه الحيوان المناسب لتلك الحياة الصحراوية، لما في مسالكها من وعورة وشدة مقاومة للحر وظروف قساوة الطبيعة، فكثرت أوصافها وتعددت مناحي صورها وتشبيهاتها، باعتبار أن البعير حيوان صبور لا يمل ولا يتضجر ولا يتشكى من شظف العيش وقلة الكلأ، وشدة صبره على الماء لمدة أطول.

---

[1]- ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(06)، قصيدة: هذه خطوة ، ص:14.

[2]-نوري محمد القيسي: المرجع السابق، ص: 146.

[3]- ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(15)، قصيدة: هذه خطوة، ص:15.

[4]-فؤاد أفرام البستاني: منجد الطلاب، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط26، 1982، ص:519.

[5]- ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(16)، قصيدة: بين الشك والتشكي، ص:21.

والبعير: هو الجمل البازل للذكر والأنثى جمع بعران وأبعرة، وأباعر، وأباعير[1]، قال الله تعالى:﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [2].

والبازل من الجمال بمثابة القارح من الخيل، وعلى ذلك جاء قول الشاعر حسان بن ثابت:

لله درُّ عصابة نادمتهم يوماً•◌• بجلق في الزمان الأول.

يمشون في الحلل المضاعف نسجها •◌• مشي الجمال إلى الجمال البزّل.[3]

فيريد أن يقول أنه كان في جماعة من الناس في موضع بجلّق أو بقربها(و جلّق دمشق) وهم يمشون في حلل، والحلّة رداء وقميص، وتمامها العمامة، وتجمع معظم القواميس على أن البعير بازل.

والبزّل: جمه بازل وهو البعير الذي استكمل السنة الثامنة، وطعن في التاسعة، وبزل نابه: أي شق اللحم عن منبته.

ويقال أن العرب تطلق لفظ "بعير" على الذكر والأنثى مثل ما يقال يطلق لفظ" إنسان" على الرجل والمرأة، وفي الحديث النبوي الشريف من صحيح البخاري في باب : "إثم مانع الزكاة" "...ولا يأتي ببعير يحمله على رقبته له رغاء فيقول : يا محمد. فأقول: لا أملك لك من الله شيئا، قد بلّغت".[4]

ومنه قول الشاعر محمد العيد آل خليفة في وصفه لقطعان الماعز والأغنام ومجموعة الأنعام:

وفي المزارع قطعان منوعة •◌• ضأن ومعز وأبقار و أنياق.[5]

---

[1]– فؤاد أفرام البستاني: منجد الطلاب، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط26، 1982، ص:37.

[2]–سورة يوسف: الآية:65.

[3]– محمد إبراهيم جمعة: نوابغ الفكر العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2 ، 1971، ص:92.

[4]– محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، دار الحديث، القاهرة، مصر، مج1، حديث رقم:1402 ، ص:375.

[5]– ديوان محمد العيد آلخليفة: البيت(08)، قصيدة: جمال الريف، ص:56

د- الناقة:

تحظى الإبل في مجملها والناقة بشكل خاص بمكانة مميزة عند العرب، لعظيم دورها في الترحال والتجارة والتنقل والحروب والعتاد والمؤونة، كما اعتبرت معيارا للثراء والجاه، والناقة من أبرز السمات في الحياة البدوية العربية لتحملها قساوة الطبيعة وكذا الظروف البيئية الصعبة.

وتجاوب محمد العيد آل خليفة مع الناقة بمشاركته لمدحها ولإعجابه بتركيبتها الخلقي، حيث يأخذ من قوله تعالى:﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾[1]، وكذا تسخيرها لفائدة الإنسان في إنقيادها له، وكذا بطريقة رعيها في الفيافي والتلال، وأكلها لهزيل الأشواك والكلأ، كون هذه النياق تقاوم قساوة الحياة الطبيعية ، فذكرها الشعراء والأدباء "وأما اللغويون فكانت عنايتهم بالنياق تضاهي العناية التي لقيَتْها عند الشعراء أنفسهم، فقد ألف الأصمعي كتاباً في الإبل، عرض فيه لحملها ونتاجها، ومايذكر من أسمائها وأدوائها وسيرها وألوانها"[2]، فإذا كانت النوق موصوفة بصلابة التركيب الجسماني وضخامة الجثة وتماسك البنية، وفي الآية الشريفة قول الله تعالى:﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]، وهو ما يوافقه الحديث النبوي الشريف من صحيح البخاري قوله ﷺ: "من حق الإبل أن تحلب على الماء"[4].

1-3- ألفاظ البيئة الطبيعية الدّالة على الشجر والزهر والثمار ورياحينها:

لقد أزهرت النباتاتفي خضرة طرية، وما ازدانت به الأرض من عشب، واكتست منه الأرض حلّة بهية، وهو غطاء نباتي، والغطاء النباتي كله يبهر العيون، ويزيد في النفس تلك

---

[1]- سورة الغاشية: الآية:17.

[2]- نوري حمودي القيسي: المرجع السابق، ص:106.

[3]- سورة الأعراف:الآية:73.

[4]- محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، دار الحديث، القاهرة، مصر، م2 ،حديث رقم:2378، ص:154.

الأريحية وأحسنه ما رافقته المياه واختلفت إليه الحيوانات والطيور، وازدانت به الأرض بهاءً والإنسان نفعاً ومنه قول محمد العيد آل خليفة:

ولعلّ غرسك في القرائح مثمر•◌•ولعلّ وريك للعقول منير.[1]

أو قول محمد العيد آل خليفة وهو يتغنى بمظاهر ومناحي محيط الأزهار والثمار بتلك النافورة وذلك مما أطرب الشاعر المتأمل لهذه الفوّارة التي يتناغم فيها خرير الماء متصاعدا مع ما تجانس من أغاني وشدو الطيور بقوله:

يا حبذا عين تفور•◌• حفّت بحافّتها الزهور.[2]

وعلى ذلك المنوال جاء قبله قول الله تعالى:﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[3]، ويؤكد الشاعر عطر الزهور بقوله:

هي ريحاني الشذا وروحي •◌•كيف أرضى فراقها أو أطيق.[4]

ومنه قول الله تعالى: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾.[5]

وكذلك قوله تعالى:﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾[6]، ويعتني الإنسان بالأزهار والنبات فتثمر:

أثمرت طيب الثّمار وآتت •◌• أكلها بيننا شهيا رطيبا.[7]

ومنه قوله تعالى:﴿ لَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[8]، كما أن الشاعر لم يهمل فضائل الغرس والثمار، وما يعود بالفائدة والنفع على الإنسان، إذ يقول واصفاً:

وقدّم إليه الغار جذلان باسما فقد •◌• عاد بالزيتون من ساحة النصر.[1]

---

[1]– ديوان محمد العيد آلخليفة: البيت(08)، قصيدة: ياقبر، ص:474.

[2]– ديوان محمد العيد آلخليفة: البيت (01)، قصيدة: وصف فوّارة، ص:52.

[3]– سورة طه: الآية:131.

[4]– ديوان محمد العيد آلخليفة: البيت(05)، قصيدة: شاعران يلتقيان، ص:408.

[5]– سورة الرحمان: الآية:12.

[6]– سورة الواقعة: الآية:89.

[7]– ديوان محمد العيد آلخليفة: البيت(07)، قصيدة: أعزم السير، ص:190.

[8]– سورة البقرة: الآية:22.

أ- الكروم:

الكروم ومنها العنب، والذي عرف منذ القدم بقيمته الغذائية العالية، هو أفضل وأجود غذاء لصحة العين، ولذلك استحسنها لشاعر محمد العيد آل خليفة ومجدّه بقول:

وفي الكروم عناقيد تحفّ بها كأنها في نحور الغيد أطواق.[2]

في روضة غناء قد •◌• غنّت بساحتها الطيور.[3]

والخلاصة من كل ذلك أن الأزهار والأشجار والثمار والرياحين المتواجدة على وجه الطبيعة، بأعداد كثيفة، ومتنوعة ومتفاوتة ومختلفة في طريقة ظهورها وأحجامها، ذات معان ومقاصد هامة، والأزهار والثمار ذات محمولات دلالية، نظرا لشكلها الخلاب وجمالها الساحر والآسر للنفوس والقلوب.

ومنه الرّياحين: وهو ما كان طيّب الرائحة شديد الشذى والطيّب الرائحة ، قال الله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾[4]، وهو مما يضفي على الجو إشراقة زكية بعطور ذات رائحة، وهو مايدل على النعيم المقيم خضرة ورائحة كأصداف وهاجة، فظاهر الزهرة تلك المتعة الفائقة في شكلها وباطنها، مصدر لقاح يشحن الأثر ويستهوينا بروعته في غمرة شذاها، وما يعبر سرورا بطلعة من الطبيعة في تنوع وإيحاء.

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ: "هما ريحانتاي من الدنيا".[5]

ومنه مالم يهمله شاعرنا محمد العيد آل خليفة في توافق مع تلك النظرة الدالة على ذوقه:

هي ريحاني الشذى وروحي •◌• كيف أرضى فراقها أو أطيق.[6]

---

[1]- ديوان محمد العيد آلخليفة: البيت(08)، قصيدة: تهنئة الجيش وتحية العلم، ص:432.

[2]- ديوان محمد العيد آلخليفة: البيت(07)، قصيدة: جمال الريف، ص:56.

[3]- ديوان محمد العيد آلخليفة: البيت(1،3)، قصيدة: وصف فوارة، ص:52.

[4]-سورة الواقعة: الآية:89.

[5]- محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، دار الحديث، القاهرة، مصر، مج3، حديث رقم:3753 ، ص:28.

[6]- ديوان محمد العيد آلخليفة: البيت(05)، قصيدة: شاعران يلتقيان، ص:408.

لذلك يميل لتلك المتعة ويحاول نهوضا فراقها فلا يستطيع، وتعطر الشاعر محمد العيد آل خليفة بألفاظه الطبيعية وبكل أشعاره فأضفى ذلك العطر على إخوانه والمؤيدين لشعر وقوافيه، فتعطرت بهم الطبيعة، وعبّر عن ذلك الحب الدفين بقوله:

وتهنئة معطّرة الحواشي •◌• معبّرة عن الحب الكنين.[1]

وهذى التهاني معطرة دليل على مصداقية عاطفة الشاعر ودلالة على الاستعارة من شذى الطبيعة وريحها العطر ورياحينها، وهوما يتأتى من ذلك الغرس المثمر، ومنه قول محمد العيد آل خليفة:

ولعل غرسك في القرائح مثمر ولعلّ وريك للعقول منير.[2]

وهو ما يدل دلالة واضحة على الطبيعة النابتة، وهي على اختلافها الطبيعي تختلف باختلاف أسمائها وصفاتها وكذا ثمارها دلالتها واضحة أيضا على ريحها الطيب ونباتها الأصيل وكثير فائدتها، ومنه قوله تعالى:﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[3].

وقد حثّنا ديننا على ذلك الزرع والغرس مما يعود علينا بكثير الفائدة وعظيم الأجر، ومنه قوله ﷺ:"مامن مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو حيوان إلا كانت له به صدقة".[4]

وهو الدلالة على أن الوجود متعلّق ببعض، وأن صور التعاضد ممزوجة في تناسق مع عمق الطبيعة بوجه واحد، وفي ومضات ناطقة، وهذا التناسق دلالة على أبعاد تلك الظواهر التي تتظافر كحافز ودافع لتبدد كل همّ وحيرة، وقلق وشقاء، وتكمن الدلالة في تلك

[1]– ديوان محمد العيد آلخليفة: البيت(16)، قصيدة: أمير المؤمنين غنمت نصرا، ص:582.

[2]– ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(08)، قصيدة: ياقبر، ص:474.

[3]– سورة الأنعام: الآية:141.

[4]– محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، دار الحديث، القاهرة، مصر، مج2 ،حديث رقم:2320، ص:140.

الحوافز والموارد الجمّة من النضج في توظيف ما سخّر لنا الله من بديع الكون طبيعيا فننجذب إليه، ثم نعبر عنه بإحساساتنا.

ب- النخيل:

يعد النخيل من أهم الأشجار التي تعمر كثيرا، والنخيل على نوعين: النخيل الذكري والنخيل الأنثوي، وكلاهما له عرجون، غير أن العراجين الذكرية تنقل إلى العراجين الأنثوية لتتم عملية التلقيح.

وللخيل عظيم الفائدة الغذائية الجمة باعتبار أن ثمرة النخيل لها من المكونات والعناصر الضرورية لجسم الإنسان ما يمكن أن يكفيه لوجبة كاملة.

والنخيل من بين أهم الأشجار التي تحمي البيئة وتزين المحيط، كما يدخل في عديد الاستعمالات والاستخدامات العلاجية، وقد وظف الإنسان النخيل واستثمره في تزيين المحيط والحدائق والشوارع، كما يدخل استعمال النخيل في عديد من الأغراض المفيدة للإنسان.

وقد جاء حافلا ديوان محمد العيد آل خليفة بألفاظ البيئة الطبيعية الدالة على النبات والشجر والزهر والثمار ورياحينهما ومنها النخل أيضا، ذلك مما يشكل اهتمامه الأوسع بعنصر الحياة في الطبيعة، مما يتوافر بتوفر هذا الجانب، فقد استعمله وتناوله دالاً على تلك الصور الحركية للطبيعة حقيقة أو مجازاً، مما يصعب فرز الحدود الدلالية الممزوجة والمتداخلة لأن ألفاظ اللغة وعاء يتّسع لأن نسقط ما يحتويه هذا الكون من عناصر الحياة وتوظيفها في قالب شعري ظاهراً أو غموضاً استعارة أو بلاغة أو أسلوبا.

فيجوز للشاعر تعبير عما بداخله أن يبرز لنا عملية الإبداع والخلق، أو ما يدور في داخله من تصورات، وما ينطوي عليه ذهنه من إحساس فطري وغريزي لأنه ابن بيئته.

ومع أنك لا تستطيع أن تبدي ما في نفسك بصورة صافية ومعبّرة بقدر ما يبينها الناثر في قالب أدبي بقوله مثلا: ""أرأيت الزرع أول نشأته يَسِمُ الأفراح زغبا لطيفا، قد زان التربة السمراء وازدان بها".[1]

أو قول الشاعر محمد العيد آل خليفة:

ببسكرة النخيل حططت رحلي •ّ• وأنت بأرضها حامي الرّحال.[2]

ولذلك لم يفوت محمد العيد آل خليفة فرصة التنويه بمحاسن النخل وفوائده.

وقد ورد النخل في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾[3]

والنخل وهو ثمرة طيبة مباركة ورد التنويه بشأنها في جل التأليف، وموطن النخيل طبعا هي الصحاري المقاومة للحرارة وتحمل لهيب الشمس وجفاف الطبيعة وندرة التساقطات المطرية . وتعتبر ثمرة النخيل(التمر) مما استعمل منذ القدم في الزّاد للسفر والإقامة والدواء، لتفادي أو معالجة بعض الأسقام.

ومن التقارب الدلالي بين الآية الآنفة وبين هذه الآية في قوله تعالى:﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾[4]، هو أن النخلة وهي الشجرة التي ذكرنا، وأما اللينة: صنف ناعم طيب منه ومن جنسه أيضا وذلك بمثابة تقارب دلالي وعلاقته الاشتمال.

وجاء في المعجم " النخل والنخيل شجر التمر المعروف، له ساق مستقيم طويل ذو عقد، واحدته نخلة ونخيلة"[5]، وقد ذكره وميّزهالله سبحانه وتعالى بالطول بقوله: ﴿وَالنَّخْلَ

---

[1]– البشير المجدوب: كلمات، تقديم، محمود المسعدي، الدار العربية للكتاب، مطبعة المنار، تونس، ط1 ، 1975 ، ص:142.

[2]– ديوان محمد العيد آلخليفة: البيت(02)، قصيدة: أبا المنقوش، ص:425.

[3]– سورة الكهف: الآية: 32.

[4]– سورة الحشر: الآية:05.

[5] – فؤاد أفرام البساتي : المرجع السابق: ص:797.

بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾[1]، وقوله أيضا:﴿ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾[2]، وهو مايرمز ويشير إلى حياة البادية باعتبار أن النخيل تزدان به الصحاري جمالاً،وتزداد به قريحة الشعراء تفجراً وإبداعاً، وذلك هو الباعث على حسن إبداع الشاعر وسرعة تفجر طاقته الشعرية.

وقد ورد ذكر النخيل في أحاديث المصطفى ﷺ في مواضع متعددة، حيث ورد في صحيح البخاري أن ""رسول الله ﷺ قال:إن من الشجر شجرة لايسقط ورقها، وإنها مثل المسلم فحدثوني ماهي ؟ فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت ثم قالوا: حدثنا ماهي يارسول الله؟ قال: هي النّخلة"[3].

وقد تقدم ذكر ثمرها وفائدته، وكيف أن النخلة تُأتي أكلها شهيا رطيبا، ومنه قول محمد العيد آل خليفة:

أثمرت طيب الثمار وآتت •ٍ أكلها بيننا شهيا رطيبا.[4]

وهو المستمد من القرآن الكريم في وصف غذاء مريم البتول ، ذلك الرطب الجني المحتويُ على جل العناصر الغذائية الكاملة التي يحتاجها الجسم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[5]

وله الفضل أي النخل في اتخاذ الإنسان من هذا النخيل منافع جمّة في حياته اليومية من: مصدر غذاء، وادخار ومن جريد، وظل ودواء وحبال، وفسحة وجمال وخضرة ونضارة دائمة، وغطاء نباتي، وحماية للأراضي، وغيرها كثير مما ذكره الشعراء ومنهم محمد العيد آل خليفة في قوله:

تغرس النخل باسقات وتجني •ٍ من جناها التمور والإرطابا.[1]

---

[1]– سورة ق: الآية 10.

[2]– سورة الرحمان: الآية:11.

[3]– محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، المصدر السابق، حديث رقم:16، مج1، ص:26.

[4]– ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(07)، قصيدة: أعزم السير، ص:190.

[5]– سورة مريم: الآية:25.

ومنه التمر الرديء والحشف، وقد ورد عن الرسول ﷺ في الحديث النبوي الشريف: ""...وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر، لايباليهم الله بالة"".[2]

المطلب الثاني: الطبيعة الصامتة (الجامدة) في ديوان محمد العيد آل خليفة

1-1-ألفاظ البيئة الطبيعية الدالة على الأنهار والبحار والوديان والغدران:

أ-البحر:

البحر متسع الأفق والآخذ بأذهاننا، نحو ما يعطي الراحة وتجديد السعادة، واجترار الذكريات، ومن الحكم المتداولة بين الناس: (اصنع جميلا وارمه في البحر فإذا تجاهله السمك فإن الله يحفظه).

ومنه قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[3].

ونحوه ما قال رسول الله ﷺ:" إن رجلا حضره الموت، فلما يئس من الحياة أوصى أهله: إذا أنا مت فاجمعوا لي حطبا كثيرا ، وأوقدوا فيها نارا، حتى إذا أكلت لحمي وخلُصتْ إلى عظمي، فامتحشت فاخذوها واطحنوها، ثم انظروا يوما حارا فاذروه في اليوم ففعلوا...".[4]

وقد وقف الشاعر محمد العيد آل خليفة على بحر الجزائر بما يقول:

وقفت على بحر الجزائر ليلا•ّ• وناجيته لو كان يسمعني البحر.

فقلت له: يابحر مالك هائجا؟ •ّ• على البَر مغتاظا ولم يذنب البّرُّ.[5]

النهر: مجرى مائي أوسع من الوادي، يسيل بين ضفتين ماؤه عذبن تجمّع من هطول أمطار السماء وبضعها من ينابيع الأرض أو مجريات المسطحات المائية من الجبال أو البحيرات.

---

[1]- ديوان محمد العيد آلخليفة: البيت(07)، قصيدة تارك الزكاة، ص:275.

[2]-يحي بن شرف النووي: رياض الصالحين، تحقيق: شعيب الأرناؤط، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط4،1984، حديث رقم 1828، ص:682.

[3]- سورة النحل: الآية:14.

[4]- محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، المصدر السابق، حديث رقم:3452، مج2 ، ص:451.

[5]- ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(01،02)، قصيدة: وقفة على بحر الجزائر، ص:17.

وفي معتقدات الشعوب أن النهر مثل الإنسان يمرّ بفترات الشباب والنضج والكهولة والشيخوخة وهي فتراته:

-**فترة الشباب:** هي المجرى العلوي والمتدفق بقوة.

-**فترة النضج والكهولة:** وهي المرحلة الوسطى من التدفق.

- **فترة الشيخوخة:** وهي المرحلة القصوى أو الدنيا من التدفق.

ففي فترة الشباب يعمّق النهر ذلك المجرى، ويشق طريقه نحو اليابسة، وفي فترة النضج والكهولة يسعى لتوسيع جانبيه، في حين أن سرعته تتناقص، وفي فترة الشيخوخة يضعف النهر وتقل طاقته على القدرة في نقل الحصى والطين ويضعف كلية ولا يستطيع التخلص من الرواسب.

قال الله تعالى:﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾[1].

وفي الحديث النبوي الشريف قول ﷺ: (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم...).[2]

ومنه قول محمد العيد آل خليفة:

والنهر في جنبات السفح منبسط •ّ• والماء في جنبات النهر رقراق.[3]

ب- الوادي:

هو الفج العميق بسبب جريان السيول، وقد سبق ذكره والتعريف به، وقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4]

وقال ﷺ:"حوالينا لا علينا، اللهم على الآكام، والجبال، والآجام، والظّراب، والأودية ومنابت الشجر"[5]، وقد سبق ذكر الحديث في باب الأرض، وقد قال محمد العيد آل خليفة:

---

[1]- سورة الكهف: الآية 33.

[2]- محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، المصدر السابق، حديث رقم:528، مج1، ص:142.

[3]- ديوان محمد العيد آلخليفة: البيت(06)، قصيدة: جمال الريف، ص:56.

[4]- سورة التوبة: الآية:121.

[5]- محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، المصدر السابق، حديث رقم:1013، مج1، ص:256.

ومن مبان بها للجو شامخة •◌• ومن عيون تجري بها ووديان[1].

وفي العصر الحديث أصبحت تقام بعض الجسور التي يعبر ويمر فوقها الإنسان متنقلا من ضفة إلى ضفة أخرى، وأصبح الجسور فوق الوديان العصية على العبور، مما تتباهى به الدول حضاريا.

1-2- ألفاظ البيئة الطبيعية الدّالة على الأفلاك والسماء والنجوم

أ- السماء:

السماء كما جاء في موقع في موسوعة ويكيبيديا هي: "تسمية للمنظر من سطح الأرض أو أي جرم كوني، باتجاه الفضاء الخارجي بالتأثير المرئي، تبدو أنها تحيط بالأرض"، أما علماء اللغة فينظرون إليها من جانب آخر، حيث "يحدد علماء اللغة العربية لفظ السماء بأنه الدلالة على الفراغ اللانهائي في الكون والذي لا يمكن أن يكون خلوا لا يشغله شيء، بل يملأه وسط غير مادي اسمه الأثير، وفي هذا الوسط غير المادي تنتقل الطاقات الغير مادية مثل موجات اللاسلكي والراديو والرادار والضوء والحرارة، ويطلق على هذه الطاقات اسم أمواج الأثير"[2].

قال الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[3] ومنه جاء حديث الرسول ﷺ "بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء، جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني زملوني فأنزل الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ إلى قوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ فحمي الوحي وتتابع[4]"، وقد ذكره محمد العيد آل خليفة في الديوان في مواضع كثيرة وفي عدة مرات:

---

[1]- ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(03)، قصيدة: المجد للباني، ص:585.

[2]- موقع ويكيبيديا: http//www.wkipidia.com.

[3]- سورة البقرة: الآية:22.

[4]- محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، المصدر السابق، حديث رقم:04، مج1، ص:06.

كوني سماء إليها الخلق راغبة•ٍ•وغيثها نازل للخلق مدرار[1].

فالشاعر يشاهد السماء في منظر مألوف متميز، تتفاوت الألوان فيه مشكلة ألوان الطبيعة الممزوجة بألوان الطيف السماوي في تناسق وتداخل وتمازج.

ب- الشمس:

إحدى الكواكب السيارة، وهي مصدر الضوء والطاقة والسراج الوهاج،" تطور الفهم العلمي للشمس بشكل بطيء وحتى علماء القرن التاسع كانت معارفهم حول التكوين المادي للشمس ومصدر طاقتها معارف جد محدود، ولاتزال هذه المعارف تتطور مع وجود بعض الحالات الشاذة في سلوك الشمس العصية على التفسير"[2]، ومنه قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.[3]

والشمس ضياء وتعداد لفصول السنة بكل تفصيل من عند الخالق جلّ جلاله، ويترتب عنها الكسوف والسواد أي ذهاب النور والضوء وحلول الظلام.

وقال تعالى أيضا: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾[4].

وخصها بمفرها حين قال الله تعالى:﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾[5].

وفي الحديث النبوي الشريف قوله ص: "فهل تمارون في الشمس...".[6]

---

[1]- ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(06)، قصيدة: دار الخيرية، ص:258.

[2]- موقع ويكيبيديا: http//www.wkipidia.com.

[3]- سورة يونس: الآية: 05.

[4]- سورة إبراهيم:الآية: 33.

[5]- سورة الكهف: الآية:17.

[6]- محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، المصدر السابق، حديث رقم:806، مج1، ص:204.

فالشمس دليل على وجود حساب كوني مقدر بفعل الله تعالى وحسن صنيعه وإحكامه، ومنه ورد في الديوان قول الشاعر محمد العيد آل خليفة :

لاتكن يائسا من الخير واعمل •◌• إن لشمس مطلعاً ومغيباً.[1]

ج- القمر:

هو الكوكب اللامع ليلا في السماء، ويعد الكوكب الأكثر لمعاناً بعد الشمس يدول بشكل منتظم، مما يساعد على معرفة الأشهر وكذا التقويم السنوي، له شديد التأثير على النفوس الشعراء مثل ما كان تأثيره قديما في الأساطير القديمة على الديانات، وباستطاعة القمر أن يغطي قرص الشمس في ظاهرة الكسوف، باعتباره الجرم الذي يبدو بنفس الحجم، وهو ما يساعده على ذلك.

ويقال أنه أحد الكواكب السيارة الذي يستمد نوره من الشمس ويستضيء به، حيث ورد تدعيم ذلك الأمر في القرآن الكريم في آيات متعددة ومنه قوله تعالى:﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[2].

وقال ﷺ: "إنكم سترون ربّكم"[3]، والمفرد قمر وجمعه أقمار، وفي لسان العرب: "هو الكوكب الدري العظيم القدر عند العرب"[4]، وكذا منه قول محمد العيد آل خليفة:

أطلّ البدر وضّاح الجبين •◌• فعمّ الأُفْقَ بالنور المبين[5].

د- الهلال:

يقال عن الهلال أنه مطلع الشهر، وأول القمر إلى السبع منه، ومثله ما يقال عن آخره بداية من ليلة السادس والعشرين، والهلال مرحلة من أزمنة القمر خلال الشهر الواحد من جميع الشهور.

---

[1]- ديوان محمد العيد آلخليفة: البيت(15)، قصيدة: أعزم السير، ص:191.

[2]- سورة يس: الآية :39.

[3] - محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، المصدر السابق، حديث رقم:554، مج1، ص:146.

[4]-ابن منظور: لسان العرب...، المرجع السابق، مادة قمر.

[5]- ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(01)، قصيدة: أمين المؤمنين غنمت نصرا ، ص:581.

قال الله تعالى:﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] وبذلك فالأهلة هي ما يعرِفُ به الإنسان الأشهر من بقية الأزمنة الأخرى، وعليه جاء قول الحبيب المصطفي ﷺ:"لو تأخّر الهلال لزدتكم".[2]

1-3- ألفاظ البيئة الطبيعية الدالة على الأقاليم والأمكنة:

أ- الأرض:

وتعتبر المسكن والمأوى لجميع المخلوقات التي تعيش بها، والتي تحيا على سطحها أو بين ثناياها، حيث تنشأ بها الحياة " والأرض على جدبها وإقفارها لايعدم أن يجد فيها الإنسان بضع قطع خصبة صالحة للنماء والاستثمار"[3]، والأرض هي الكوكب التي تتكامل بيئته مجتمعة بظروف الحياة، ويعتبر فيها الإنسان عنصرا فعالا كما يشرف على صيانتها والمحافظة على ديمومة حياتها، "والأرض: الكرة السيارة التي نحن عليها، جمع أرضون، وأروض وأراض ، وآراض"[4]، والشاعر محمد العيد آل خليفة ابن الجزائر وعلى أرضها نشأ وترعرع، ونمى بها ومشى على ترابها، وتعلّق بها لذلك كانت الأرض تمثّل للشاعر مهبط ميلاده وهي أكبر علاقة بينها وبينه.

والعلاقة الدلالية بينه وبين أرضه ما دارت بينه وبينها من أحداث وما شاهده في أنحائها.

تلك هي الأرض ونلك أهميتها للإنسان بوجه عام، وللشاعر بوجه خاص، وما مكونات هذه البسيطة إلا مكونات الكون من صنع الخالق، فعلى أديمها بنيت الحضارات وشيّدت المباني وأقيمت الأفراح، وشهدت المعارك والثورات، وتنقّل بينها الإنسان وبين

---

[1]- سورة البقرة: الآية: 189.

[2]- محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، المصدر السابق، حديث رقم:7299، مج4، ص: 402.

[3]- برناردين دي سان بير: الفضيلة، مصطفى لطفي المنفلوطي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011، ص:11.

[4]- فؤاد أفرام البستاني: منجد الطلاب، مرجع سابق، ص:07.

أنحائها مرتحلا ومقيما ومتنقّلا في أقطارها، لذلك جاءت ألفاظ الطبيعة ممتلئة بالإشارات إلى دلالتها وماحوته الأرض وكذا مكوناتها.

ومنه قول الله تعالى :﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ الْماهِدُونَ﴾[1].

فقد خلق الإنسان أول ما خلق من الأرض وعاش وسار في أنحائها طلبا للرزق ثم يعود إليها بعد عمر، ومنها يخرج في نهاية مطافه.

"فكلّ شيء يقابل السماء يقال له أرض، ومنه الأرض التي نحن عليها، ويقال لأعلى الفرس سماء، ولقوامه أرض، ومنه تأرّض فلان أي لزم الأرض، فلم يبرح، أما الأرضة فدودة بيضاء تأكل الخشب"[2]،

وفي ذلك يقول الشاعر مخمد العيد آل خليفة:

طوى الأرض بالخط الحديدي وانبرى•◌ يجول مع الأرياح كل مجال[3].

ب- البراري:

هي الموطن البيئي على وجه البسيطة، والتي لم تتم السيطرة عليها من طرف الإنسان كلية عن طريقه وعن طريق نشاطه البيئي البشري، وفي تلك البراري والتي لم يتدخل الإنسان في طريقة ومناهج حياة ساكنيها تعيش كثير من المخلوقات، والتي لم يتمكن الإنسان إلى حد الآن من الإحاطة بها.

وقد وفق نظر الشاعر محمد العيد آل خليفة مليا في البراري فقال: والبراري مثل:

الفراديس يسفو ال •◌ مكث في ظلها ويسمو المقام[4].

وذلك يدفع إلى تأييد فكرة الناظر والمتأمل في صنع الله.

---

[1]- سورة الذاريات: الآية:48.

[2]- ابن منظور: لسان العرب...، مرجع سابق، مادة: أرض.

[3]- ديوان محمد العيد آلخليفة: البيت(20)، قصيدة: صدى الصحراء، ص:13.

[4]- ديوان محمد العيد آلخليفة: البيت(46)، قصيدة: ويخلد الإسلام، ص:178.

ج- الوادي:

وهو المجرى المائي الذي يصب ببحر أو بحيرة، والوادي فج عميق ومنخفض بين سهول أو جبال، وبتعبير أدق هو ذلك المستوى المنخفض والحوض المتواجد بين السهول أو الهضاب أو الجبال، يتدفق فيه الماء ويجري خلاله، كما تتميز الوديان بخصوبة الأراضي وهي على نوعين: دائمة أو مؤقتة.

جاء في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾[1].

ولشدة تعلّق وحب الشاعر للطبيعة مزج وجمع بين الأودية والأرض في بيت واحد، فقد قال محمد العيد آل خليفة مفتخرا بأودية البادية وسيول البراري وبآفاقها المتسعة والرّحبة:

فما كأودية البادين أودية •ّ• ولا كآفاقهم في الأرض آفاق[2].

وهو ما تدفق من منابع المياه ومجاريها، أو من مرتفعات لجبال، وفي الحديث النبوي الشريف:" فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام، والجبال، والآجام، والظّراب، والأودية ومنابت الشجر"[3]، وسيمر بنا لفظها في الصفحات الموالية من بين ألفاظ البيئة.

1-4- ألفاظ البيئة الطبيعية الدالة على الحجارة والصخور والرمال والأحجار والتراب

أ- الأحجار:

ومنها الأحجار الكريم والأحجار النفيسة والأحجار الثمينة، وتتركب الأحجار من عدة عناصر، تتشكل بمرور الزمن، ويمكن تحديد قيمة الأحجار بالاستعانة والاعتماد على مكوناتها.

---

[1]- سورة الرعد: الآية:17.

[2]- ديوان محمد العيد آلخليفة: البيت(22)، قصيدة: جمال الريف، ص:57.

[3]- محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، المصدر السابق، حديث رقم:1013، مج1، ص:256.

قال الله تعالى:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

ومنه حديث النبي ﷺ:(لو اطلع في بيتك أحد، ولم تأذن له خذفته بحصاة ففقأت عينه، ما كان عليك من جناح).[2]

ب- التراب:

التراب ذلك الوجه والطبة التي تغطي سطح الأرض والمتكونة من التربة والمواد الصخرية، وفي الحديث أن التراب مادة مطهرة، وقد أكدت هذه النتيجة كثير أبحاث العلماء حول التراب، ومن خصائص التراب كما يراها العلماء اليوم أنه أفضل مادة معقمة موجودة في الطبيعة، كما يضمن إزالة الجراثيم التي تعجز عن إزالتها كل المواد الكيميائية.

ومن لطائف الحكمة الألهية أنك تجد الأطفال الصغار يحبون اللعب بالتراب، ويحاولون مسك التراب بأيديهم ، فالله وهبهم فترة سليمة يعرفون بها ومن خلالها أن التراب مادة مطهرة تتفوق على أفضل أنواع الصابون، "ومن الطين الذي انتزع من أرض حقولهم"[3]

ومنه قول محمد العيد آل خليفة:

كم قدرو فوق التراب خلودهم•ّ• طمعا وما فوق التراب خلود[4].

ج- الصّخر:

قال الله تعالى :﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[5]

---

[1]- سورة البقرة: الآية:74.

[2]- محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، المصدر السابق، حديث رقم:6888 ،مج1 ، ص:303.

[3]- بيرل بيك pearl Buck، ترجمة، محمد جاد عفيفي، مطبعة دار التأليف، القاهرة، مصر، د.ت.

[4]- ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(14)، قصيدةبين الشك والتشكي، ص:21.

[5]- سورة لقمان: الآية :16.

ومنه قول محمد العيد آل خليفة:

ومالك لا تألوه دفعا وضجة•◌• وصفعا بأيدي الموج رقّ له الصخر.[1]

1-5- ألفاظ البيئة الطبيعية الدالة على مجمل الألوان:

أ- الأبيض:

-اللون الأبيض ودلالته النفسية والمنعكسة على من يفضلونهن ومن دلالته أيضا:

-البراءة والطهر: وهو ما يجعلنا نفضل هذا اللون وهو رمز النقاء والعفاف، وهو أيضا إشارة للشرف.

-النقاء والنظافة: يستوحي من اللون الأبيض شدة النظافة، وأنموذج التعقيم كما في المصحات والمستشفيات.

-الوضوح والإشراق: فهو يترك في أنفسنا النفسية المتجددة والإشراقة الدائمة.

ومنه جاء قول الله تعالى :﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾[2]، ومنه أيضا حديث النبي ﷺ: "ألبسوا البياض، فإنها أطهر وأطيب وكفّنوا فيها موتاكم"[3]، كما ورد قول محمد العيد:

والسّعي شتى فالعباد جهودهم •◌• كجلودهم بيض تبين وسود.[4]

ب- الأحمر:

تختلف البشرية في معاني اللون الأحمر من حيث النّظرةُ إليه:

1-في المجتمعات الشرقية العربية:

- فإنه يشير إلى درجة الرقي والرخاء.

- ويشير أيضا للفرح وجميل الحظ.

---

[1]- ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(03)، قصيدة: وقفة على بحر الجزائر، ص:17.

[2]- سورة الأعراف: الآية: 108.

[3]- يحي بن شرف النووي: منهل الواردين، المرجع السابق، ص:353.

[4]- ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(20)، قصيدة: بين الشك والتشكي، ص:21.

– ويجلب الرزق والحظ معا كما في المجتمعات الصينية.

2– في المجتمعات الغربية:

– فإنه أنموذج للطاقة.

–رمز من رموز الإثارة.

–يدل على الخطر أو الحب أو الكراهية.

–له مناسبات يظهر فيها كدلالة إيحائية تعبيرية.

–وفي اليونان مثلا يمزج الأبيض بالأحمر ويمزجونه على دلالة على جلب النصيب والحظ.

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾[1].

ومنه قول مفدي زكرياء:

وقصيدة أزلية أبياتها•◌• حمراء كان لها نوفمبر مطلعا.[2]

ج– الأخضر:

وهو اللون الذي اندل على شيء فإنما يدل على شدة السعادة والفرح، فهو يريح النفس، وترتاح برؤيته العين، ويبعث على الطمأنينة و الهدوء، ويساعد على جلب الراحة وطرد الانفعال، واللون الاخضر يقال أنه يرخي الأعصاب.

وقد جمعها محمد العيد آل خليفة (أي الألوان الثلاثة) التي ترمز إلى العلم الجزائري في بيت واحد، حيث يقول مفتخرا بهذا العلم مزهوا به:

فراياتنا بيض وخضر بسلمنا •◌• ولكنها في حربنا رفرفت حمرا.[3]

---

[1]– سورة فاطر: الآية:27.

[2]– مفدي زكرياء: ديوان اللهب المقدس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1983، ص:58.

[3]– ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(33)، قصيدة: الذكرى العاشرة لفاتح نوفمبر، ص:440.

1-6- ألفاظ البيئة الطبيعية الدالة على الأضواء والأنوار:

أ- الظلمات:

الظلمة عند الأدباء والفلاسفة هي عدم وجود الضوء، وكذا انعدام النور، وعند أهل اللغة لا تعني دائما الظلام المطلق فنقول: ليل مظلم، ونقول ليل شديد الظلام، ومقول ظلام حالك....وهكذا، فالظلام يكون بنسب متفاوتة وليست على درجة واحدة من الظلمة.

قال الله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[1]

وقال ﷺ: (الظلم ظلمات يوم القيامة)[2]، وكذلك ورد في قول الشاعر محمد العيد آل خليفة قوله: الظلم في الأرض سار كالظّلام بها •ِ• وكاشف الظلم فيها كاشف الظُّلَمِ.[3]

والمقصود هو ما كان عكس الضوء وهو غياب تام للضوء، ويحدث كظاهرة يمكن أن تشاهده بالعين المجردة وهو تيار غير محسوس، ولا يمكن لمسه.

قال الله تعالى:﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[4]

ب- الضوء:

الضوء هو ذلك الإشعاع وهو ما يمثل الحيز الذي يراه معظم الناس بشكل تام وواضح.

قال الله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾[5].

وقول محمد العيد آل خليفة: كل ضوء سوف يخبو حمما •ِ• كل صرح يندكُّ رميما[6].

---

[1]- سورة البقرة: الآية:19.

[2]- محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، المصدر السابق، حديث رقم:2217، مج2، ص:285.

[3]- ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت (06)، قصيدة: الحق، ص:375.

[4]- سورة البقرة: الآية:257.

[5]- سورة البقرة: الآية:17.

[6]- ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(20)، قصيدة: خطر على البشرية ، ص:337.

ج- البرق:

البرق في عادته ضوء لامع، يظهر بصورة مفاجئة في كبد السماء عند اضطراب الجو، وهو ما يحصل، عند اصطدام شحنتين متضادتين سالبة وموجبة، ثم يختفي بسرعة، يتلوه صوت الرد القادم بعده مباشرة، لأن سرعة الضوء أشد من سرعة الصوت.

د- الرعد:

الرعد ما صاحب الضوء اللامع عند اضطراب الجو، وهو الدوي الشديد والضوضاء المرتبطة بوجود البرق، وهذا الانفجار تفريغ للشحنات المتصادمة، قال الله تعالى في ذلك: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾[1]

ومنه قول محمد العيد آل خليفة:

زانت الجونة السماء فزالت •◌• فزالت ظلمات بها ورعد وبرق.[2]

[1]- سورة الرعد: الآية:13.

[2]- ديوان محمد العيد آل خليفة: البيت(02)، قصيدة: الصحو ، ص: 23.

الخاتمة

خاتمة:

ففي كل نهاية حصاد ثمار وجني فوائد وأسرار وقد جاءت الخاتمة مُضمنةً بأهمّ النتائج التي توصّلت إليها الدراسة فكانت كالتالي:

إنّ حُبّ الطبيعة وشغف الشاعر بها وولعه بجمالها من أهم ما ساعد على إبداع الشاعر محمد العيد آل خليفة في رسم الصورة الأدبية والشعرية، ومزج بين الطبيعة الصامتة والمتحركة تناغماً وتفاعلاً، ولقد ظهرت وبرزت للعيان ألفاظ الطبيعة في شعره في غالبية أغراضه الشعرية وصفاً واصلاحاً وفخراً وفرحاً وحزناً، حيث عُرف ديوانه خصوبة بألفاظ البيئة الطبيعية تنوعاً وثراء مما جعل الشاعر يذهب بخياله نحو الوصف الشيّق، فجعل ألفاظ الطبيعة الأهم تقريباً لاعتماد الشاعر على الشكل أو المبنى في شكلية الألفاظ تعلقاً بعلم الدلالة باعتبار الإيحاءات التي تنتج عن ألفاظها وتتشابك تصوراتها وتختلف ألفاظها الأمر الذي ينجر عنه اختلاف المعاني باختلاف السياق أو التركيب.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- **الحديث النبوي الشريف**

أ/ **المصادر**:

1-**ابن جني**: الخصائص، تحقيق محمد علي النّجار، دار الهدى بيروت ج1، ص(د، ت)

2- **ابن منظور لسان العرب**: مجلد2 ص 652- مادة ضدد.

3- **إسماعيل بن حماد الجوهري**: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1987، مادة طبع.

4- **الإمام علي**: نهج البلاغة، جمعه الشريف الرضي، قدم له وشرحه محمد عبده، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط1، 2006.

5- **التهانوي**: كشاف اصطلاحات الفنون، ج3، تحقيق الدكتور لطفي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة مصر، 1963.

6- ديوان محمد العيد آل خليفة (شعراء الجزائر)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،ط1 ، 1979.

7-**صبحي صالح**: منهل الواردين-شرح رياض الصالحين-، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، مج2.

8-**عبد الرحمان بن محمد بن خلدون**: مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ت.

9-**فؤاد أفرام البستاني**: منجد الطلاب، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط26، 1982،(الحروف الهجائية الأولى).

10- **محمد بن إسماعيل**: صحيح البخاري، دار الحديث، القاهرة، مصر، مج1.

11- **يحي بن شرف النووي**: رياض الصالحين، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط4، 1984.

12- **يحي بن شرف النووي**:منهل الواردين، تقديم الدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (د.ت).

ب/ المراجع:

المراجع العربية:

1- **إبراهيم أنيس**:دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط5، 1984.

2- **أبو القاسم سعد الله**: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1983.

3- **أبو القاسم سعد الله**: محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، دار المعارف، مصر ، ط2، 1968.

4- **أبو ضيف المدني**: قال الأولون، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1976.

5- **أحمد خالد**: ابن هاني الأندلسي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط1، 1976.

6- **أحمد طالب الإبراهيمي**: آثار الابراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، ج2، 1997.

7- **أحمد محمد قدور**: مبادئ اللسانيات، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط1، 1996.

8- **أحمد مختار عمر**: علم الدلالة، مطبعة عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5،1998.

9- **الأزهر الزناد**: فصول في الدلالة مابين المعجم والنحو دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس، ط1، 2010.

10- **جلول سليم حمريط**: دلالات ابنية الفعل في لامية العرب للشنفرى، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، مصر، ط1، 2019.

11- **جودة الركابي**: الطبيعة في الشعر الأندلسي، دمشق، سوريا، ط2، 1970.

12- **حمد مرشد:** البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ، ط1، 2005.

13- **رمضان خميس القسطاوي:** الأدب العربي في مختلف العصور، مطبعة العلم والإيمان، مصر، ط1، 2007.

14- **سعاد بسناسي:** التحولات الصوتية والدلالية في المباني التركيبية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2012.

15- **سعيد يقطين:** السرد العربي مفاهيم وتجليات، دار الأمان ، الرباط، ط1، 2012م.

16- **سعيد نوفل:** شعر الطبيعة في الأدب العربي، مطبعة مصر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، طبعة (د.ت).

17- **صالح خرفي:** محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986.

18- **عبد الجليل مرتاض:** في مناهج البحث اللغوي، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط1، 2003م.

19- **قدرى حافظ طوقان:** العلوم عند العرب، دار اقرأ، بيروت، لبنان، ط2، 1983.

20- **النابغة الذبياني:** الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1982.

الكتب المترجمة:

1-بيرل بيكPearl Buck، ترجمة، محمد جاد عفيفي، مطبعة دار التأليف، القاهرة، مصر، د.ت.

2-**جورج مونان:** تاريخ علم اللغة منذ نشأتها في القرن العشرين، تر: بدر الدين القائم، مطبعة باعث، دمشق، سوريا، ط1، 1978م.

3-**جيرمان كلود، ريمون لوبلون:** علم الدلالة، تر، نور الهدى لوشن، دار الكتب الوطنية، جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، ط1، 1997 م.

الرسائل الجامعية:

1- **فايز الرسمي الشوامرة:** ألفاظ البيئة الطبيعية في شعر إيليا أبي ماضي، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور عبد الرؤوف جبر، جامعة الخليل، 2006-2007.

2- **عبد السميع موفق:** الطبيعة في الشعر المغربي القديم حتى نهاية القرن السادس الهجري، رسالة ماجستير، إشراف السعيد لراوي، جامعة باتنة، 2008-2009.

المجلات والدوريات:

1- **الرؤيا:** مجلة فصلية يصدرها اتحاد الكتاب الجزائريين، ع2، السنة الأولى، صيف-خريف1982.

2- **الأصالة:** مجلة ثقافية أسسها مولود قاسم نايت بلقاسم، تصدر وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، السنة السادسة، العدد44، أفريل 1977.

3- القبس، مجلة شهرية ثقافية، تصدرها وزارة الأوقاف، ساحة ابن باديس، الجزائر، العددان 09-10، نوفمبر-ديسمبر 1969.

المواقع الإلكترونية:

http //www.dorar.net

- http //www.wikipidia.com
- http //wwwurnop-alger2.com

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

كـ لمة شكر
إهداء
مقـدمة:..... أ- د
مدخل: مفاهيم أولية ومصطلحات حول الدلالة والطبيعة..... 4
أ-تعريف الدلالة: 5
ب -الطبيعة اللغة و الاصطلاح: 6
الفصل الأول: مراحل شعر الطبيعة والعلاقات الدلالية في البيئة الطبيعية 9
المبحث الأول: الطبيعية في الشعر والنثر ومراحل شعر الطبيعة..... 10
المطلب الأول: الطبيعة في الشعر والنثر 10
المطلب الثاني: نشأة أدب الطبيعة العربي 11
المطلب الثالث: مـراحل شعر الطبيعة..... 11
المبحث الثاني: المستوى الدلالي في شعر الطبيعة والعلاقات الدلالية في البيئة الطبيعية 15
المطلب الأول: العلاقات الدلالية في الشعر والنثر 15
المطلب الثاني: المستوى الدلالي في شعر الطبيعة ومساره..... 16
المطلب الثالث: العلاقات الدلالية في ألفاظ البيئة الطبيعية..... 20
الفصل الثاني: البيئة الحيّةُ والصّامتة في ديوان محمد العيد آل خليفة..... 22
المبحث الأول: الطبيعة الحيّة والطبيعة الصّامتة في ديوان محمد العيد آل خليفة 23
المطلب الأول: الطبيعة الحيّـة 26
المطلب الثاني: الطبيعة الصامتة (الجامدة) في ديوان محمد العيد آل خليفة..... 41
خاتمة:..... 55
قائمة المصادر والمراجع 65
فهرس الموضوعات 63
ملخص البحث:..... 64

ملخص البحث:

تناولت هذه الدراسة موضوع ألفاظ الطبيعة في ديوان محمد العيد آل خليفة في محاولة لوضع لبنة علمية وموضوعية في صرح بناء ملامح مدونة جزائرية أصيلة، ومدار الدراسة يظهر بداية من مقدمة ومدخل لإبراز مفاهيم البحث بما يندرج ضمن استخدام الألفاظ الواردة كثمرة كامنة داخل حدود النص.

جاء الفصل الأول منها وفق متوالية من النظريات والمفاهيم ، بقدر وافٍ من المعلومات ضمن المستوى الدلالي في شعر الطبيعة ومظاهر التعبير في اللفظ البيئي ، ثم استكمل الفصل الثاني بالجانب التطبيقي في ثنايا الدراسة ، حيث عكفنا على جعل ديوان محمد العيد آل خليفة نصب أعيننا وحفل هذا الديوان بألفاظ البيئة الطبيعية المستخدمة والمستحسنة.

Research Summary:

This study addresses the topic of natural language in the poetry collection of Muhammad al-Eid Al Khalifa, attempting to lay a scientific and objective foundation for constructing the features of an authentic Algerian corpus. The study begins with an introduction and an introduction that highlights the research concepts, including the use of the words contained within the text as a latent fruit.

The first chapter came in accordance with a sequence of theories and concepts, with a sufficient amount of information within the semantic level in nature poetry and the manifestations of expression in environmental expression. Then the second chapter was completed with the practical aspect within the folds of the study, where we devoted ourselves to making the collection of poems of Muhammad Al-Eid Al-Khalifa the focus of our attention, and this collection was full of the natural environment words used and approved.